

مُسْتَأْتَلِكُ
فِي

الَّتِي نَزَعَهَا الْحَقِيقَةُ



مَرْكَزُ تَرْجُمَةٍ وَلِنَا شَالِ الْعَالَمِ لِاحْتِقِ
السَّيِّدِ جَعْفَرٍ مُرْتَضَى الْعَالَمِي

Email: info@al-ameli.com

Website: www.nt-ameli.com

www.al-ameli.com

www.al-ameli.net

www.al-ameli.org

telegram: [@alameli](https://t.me/alameli)

دفتر مرکزی:

قم - خیابان ارم (آیت الله مرعشی) - کوچه

ارک - پلاک ۳۲ - ۳۴.

تلفن: ۰۲۵۳۷۷۳۵۰۰۸

همراه ۰۹۳۳۴۴۹۰۱۶۰

فکس: ۰۲۵۳۷۷۴۷۸۵۴

مُسْتَأْتَلِكُ
فِي

الْبَيْتِ زُفَا الْحَقِيقَةِ

السَّيِّدِ جَعْفَرٍ تَضَى الْعَالَمِي



مَكْرَمَةُ تَرْجَمَةُ مُؤَلَّفَاتِ الْعَالَمِ الْحَقِيقِ
السَّيِّدِ جَعْفَرٍ تَضَى الْعَالَمِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين،
واللعنة على اعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين..
وبعد..

فهذه باقة أخرى من مسائل في الدين والعقيدة، نقدّمها إلى الإخوة الأكارم،
على أمل أن ينفعهم الله تعالى بها، وأن ينفعني بها، ويعفو عن تقصيري، يوم
لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم..
وإنني إذ أقدمها إلى القارئ الكريم أرجو أن يغض الطرف عن التقصير،
وأن يتحفني بملاحظات، ونصائحه، فإنني لا أبرئ نفسي من الزلل، والخطأ
والخلل، لاستيلاء الضعف، والابتلاء بالغفلة وكثير من العلل..
وأسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب في الفكر والعمل، والخطاب، إنه
قريب مجيب الدعاء..

وأن يحشرنا مع خير الخلق أجمعين، وأفضل الأنبياء والمرسلين، محمد وآله
الطيبين الطاهرين..

حرر بتاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ١٤٤٠ هـ. ق. ٢٩/١١/٢٠١٨ م. ش.

جبل عامل - عيثة الجبل (عيثة الزط سابقاً)

جعفر مرتضى الحسيني العاملي «عامله الله بلطفه وإحسانه»

القسم الأول

عقائد..

البداء في المحتوم

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

سماحة السيّد جعفر مرتضى العاملي حفظكم الله..

خلال نقاشكم لمسألة المحتوم والموقوف، ذهبتم إلى أنّ الموقوف مما يقع فيه البداء، وأنّ المحتوم وإن كان محتوماً لكنه خاضعٌ للمشيئة الإلهية، وبغض النظر عن هذا التفريق ومناقشته، احتججتم برواية حمران بن أعين التي تتحدث عن المحتوم والموقوف، وفيها:

[فقال له حمران: ما المحتوم؟]

قال: الذي لله فيه المشيئة..^(١).

وبهذه الرواية على هذا النحو أيّدتم مطلبكم، إلا أنّه لو رجعتم إلى بعض النسخ الخطية، أو حتّى «بحار الأنوار»، وإن كان الأخير لا يفي بالغرض أحياناً، إلا أنّه أفضل مع عدم العثور على النسخ، لوجدتم أنّ الرواية خلاف المطلب المصوّر، ولفظها كالآتي:

(١) الغيبة للنعماني (تحقيق المرحوم الشيخ فارس حسون كريم) ص ٣١٢ و ٣١٣.

[فقال له حمران: ما المحتوم؟]

قال: الذي لا يكونُ غيره.

قال: فما الموقوف؟

قال: هو الذي لله فيه المشيئة^(١).

فعلى اللفظ الأول: صار وصف الموقوف وصفاً للمحتوم، فانعكست القضية، وعلى اللفظ الثاني، الأمر واضح.

وسببُ الخطأ في نقل الرواية هو الإعتماد على المطبوع من كتاب «الغيبة» للنعماني، والذي يحتاجُ إلى إخراجٍ وتحقيقٍ ينسجمُ مع الإستفادة من الأدوات والتقنيات المعاصرة.

فما هو ردكم على هذا الإشكال؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

لو أن هذا الأخ الكريم لاحظ مقدمة النسخة التي حققها المرحوم العالم
الفاضل، الشيخ «فارس حسون كريم» «رحمه الله»، لكان له موقف آخر، أكثر
ملاءمة مما سجله علينا، بالرغم من أنه لم يُعلمنا به، بل تلقينا خبره من بعض

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٩ عن الغيبة النعماني.

الإخوة أولاً، ثم علمنا به بهذا السؤال ثانياً.

ومهما يكن من أمر، فيكفي أن نذكر في الجواب عن هذه المؤاخذة ما يلي:

١- إن الكتب التي تطبع - إذا كانت من تأليفات المتقدمين - إنما تؤخذ من نسخ مخطوطة، ولا تؤخذ من الملك، أو الجن، أو من رؤيا منام، ولا من كتاب ينزل من السماء، أو ما إلى ذلك.

وقد رأينا: أن الأخ الكريم الشيخ فارس حسون «رحمه الله» قد اعتمد على النسخة المطبوعة في بيروت سنة ١٤٠٣هـ، مصرحاً: بأنها كثيرة الأخطاء، وعلى النسخة المطبوعة في طهران سنة ١٣٩٧ هجرية قمرية، بتحقيق علي أكبر غفاري.

وقد صرح العلامة الغفاري: بأنه اعتمد على ثلاث نسخ خطية هي: ألف: نسخة مكتبة ملك، وقد كتبت سنة ٧٧ بعد الألف، وعليها آثار مقابلة على نسخ أخرى مخطوطة وهي نسخة تامة.

ب: نسخة أخرى مخطوطة في مكتبة ملك أيضاً. قال الغفاري: «يظهر من خطها أنها كتبت قبل القرن العاشر، أو في حدوده».

ج: نسخة مطبوعة قوبلت أسانيدھا، وبابان من آخرها بالنسخة المخطوطة بالمكتبة الرضوية بمشهد، التي كتبت سنة ٥٧٧ هـ.

كما أن بعض أبواب الكتاب قوبلت مع النسخة المحفوظة في جامعة طهران. وعليها حواش تدل على أنها قوبلت مع نسخ مخطوطة أخرى.

وعليها أيضاً خط الميرزا الشيخ حسين النوري - صاحب مستدرک الوسائل - كتبها لنفسه سنة ١٢٨٩ هـ. قمری.

وقال الشيخ فارس حسون: إنه أشار إلى الاختلافات الموجودة بين النسخ المخطوطة أو المطبوعة منها^(١).

٢ - إن وجود اختلافات بين نسخة خطية للكتاب، وبين نسخة أو نسخ خطية أخرى أخذ الكتاب المطبوع منها، وقوبل معها.. لا يعني أن النسخة المخالفة للمطبوع هي الصحيحة، والمطبوع هو الخطأ والمغلوط، بل قد يكون العكس هو الصحيح، ولا سيما إذا تعددت المقابلات على نسخ عدة.

٣ - بالنسبة لنقل العلامة المجلسي «رحمه الله» هذه الرواية عن نسخة تختلف عن المطبوع نقول: إن السيد هاشم البحراني «رحمه الله» معاصر للعلامة المجلسي «رحمه الله»، وقد توفي العلامة المجلسي سنة ١١١١ هـ. ق: وتوفي السيد هاشم سنة ١١٠٧، أو ١١٠٩ هـ.

إن هذا السيد الجليل قد روى هذه الرواية عن النعماني بنحو موافق للمطبوع من كتاب الغيبة^(٢).

ومن المعلوم: أن كلا الرجلين «المجلسي والبحراني» ينقلان عن مخطوطتين مختلفتين لكتاب الغيبة للنعماني، وهما غير متوافقتين في نص الرواية. وعدم إشارة أي واحد منهما إلى هذا الاختلاف يدل على أنهما لم يطلعا على المخطوطة التي نقل عنها الآخر.

وبالمناسبة، فإننا نجد لدى فريق من الناس تحاملاً على كتاب بحار الأنوار، ورفضاً للإعتماد عليه، ودعوة للتخلص منه، بإلقاءه في البحر، بدعوى أنه

(١) موجز من مقدمة الشيخ فارس حسون لكتاب الغيبة الذي حققه أيضاً «رحمه الله».

(٢) البرهان (تفسير) ج ٣ ص ١٠ و ١١ تفسير سورة الأنعام، الآية رقم ٢.

مشتمل على الخرافات والأباطيل، ولا نريد أن نتخذ من قول المعترض الكريم عن بحار الأنوار: «وإن كان الأخير لا يفي بالغرض أحياناً» ذريعة لاتهامه: بأنه من هذه الفئة التي أشرنا إليها.

وإنما لا نفعل ذلك، لأننا وجدناه يتخذ من بحار الأنوار دليلاً على صحة ما يقول.. ويعتبره ميزاناً يميز به الحق عن الباطل.. وإن كان قد انتقص من قيمته، بادّعاء أنه لا يفي بالغرض أحياناً..

مع أن أحداً لا يستطيع أن يدّعي: أن أي كتاب آخر غير القرآن يفي بالغرض في جميع الأحيان، حتى كتاب الكافي، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه، وغير ذلك..

٤ - ونحب لفت النظر أخيراً إلى أن هذه الرواية التي تحدث عنها ليست هي عمدة ما اعتمدنا عليه في تقرير البداء في المحتوم، لوجود غيرها مما يدل على ذلك.

وقد ورد نفس مضمون الرواية التي في المطبوع من كتاب الغيبة للنعماني في رواية أخرى عن حمران بن أعين أيضاً: أنه سأل أبا جعفر عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾^(١)..

قال «عليه السلام»: يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل، من خير أو شر، أو طاعة أو معصية، أو مولود، أو أجل، أو رزق، فما قدر في تلك الليلة وقضي فهو المحتوم، والله عز وجل فيه المشيئة^(٢).

(١) الآية ٣ من سورة الدخان.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٥٨ وثواب الأعمال ص ٦٧ وبحار الأنوار ج ٩٤

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهر وباطناً، والصلاة والسلام على عباده
الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

٥ ذو القعدة ١٤٣٩ هـ.ق.

١٩ تموز ٢٠١٨ م.ش.

مشهد المقدسة

جعفر مرتضى العاملي

ص ١٩ وراجع: الكافي ج ٤ ص ١٥٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٠ ص ٣٥١
و (الإسلامية) ج ٧ ص ٢٥٦ والفصول المهمة للحر العاملي ج ١ ص ٣٩١ وج ٢
ص ١٦٥ ومرآة العقول ج ١٦ ص ٣٨٥ والبرهان (تفسير) ج ٥ ص ١١ و ٧١١ ونور
الثقلين (تفسير) ج ٤ ص ٦٢٤ وج ٥ ص ٦٣٠ وكتر الدقائق (تفسير) ج ١٢ ص ١١٨.

البداء في إسماعيل

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

كيف تفسرون قول الإمام الصادق «عليه السلام» حين توفي ولده إسماعيل، الذي اعتقد الناس بأنه سيكون الإمام بعد أبيه، بسبب ما رأوه من شدة اهتمامه به: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل»؟!

فهل في البداء في إسماعيل ابن الإمام الصادق «عليه السلام» خصوصية ميّزته عن أي بداء آخر؟!

أفيدونا حفظكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم أيها الأخ الكريم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فقد تكلمنا عن معنى البداء وفوائده، وغير ذلك في كتاب الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»، وفي كتابنا مختصر مفيد.. في الجواب على عدة أسئلة، ولعله في تلك الأسئلة شيء من التفصيل، والتطويل الذي نرجو أن لا

يكون مملاً أو مخلأً.. فلا بأس بمراجعة ما ذكرناه في دينك الكتابين..

ويمكن أن نضيف هنا، ما يلي:

يبدو: أن المطلوب في برهة من حياة الإمام الصادق «عليه السلام» هو صرف الأنظار عن الشخص الذي سيتولى مقام الإمامة من بعده «عليه السلام»، لأمر اقتضت ذلك، ترتبط بسلامة الإمام الكاظم «عليه السلام».

ومن المعلوم: أن الأئمة كلهم وبأسمائهم، وفيهم الإمام الكاظم «عليه السلام»، منصوص عليهم من قبل النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، ومن الأئمة الطاهرين «عليهم السلام» بما لا يبقى مجالاً للشك.

وربما كان المطلوب أيضاً، أن يكون حفظه «عليه السلام» بالوسائل العادية، وتجنب الوسائل غير العادية، التي قد تترك ندوباً في صفاء فكر، وسلامة تصورات من لم يكن ناضجاً، بما يكفي لاستيعاب ذلك، ولا يتمكن من وضعه في سياقه الطبيعي في المنظومة الاعتقادية والإيمانية.

فكان أن اعتمد «عليه السلام» طرائق مختلفة وكثيرة، لضمان حصول ما أراد، مع الحفاظ على البقاء والنقاء، والصفاء، والوضوح للمسار العام..

ونذكر بعضاً من ذلك ضمن النقاط التالية:

١ - أراد «عليه السلام» أن يكون كل ما يقوم به، أو يقوله شديد الوضوح في توافقه مع المبادئ والقيم، وأحكام الشريعة، لأن أي غموض، أو إبهام في شيء من ذلك قد يثير الهواجس، ويدفع الذين في قلوبهم مرض لبث سمومهم، وتصويب سهامهم، لتقويض عنصر الثقة واليقين بصحة المسار، وسلامته من الأخطار.

٢ - إن إسماعيل ابن الإمام الصادق «عليه السلام» كان رجلاً صالحاً، وكان أكبر إخوته، وكان أبوه شديد المحبة له^(١). وكان من أهل التهجيد والعبادة. وصرح المقرئزي: بأن إسماعيل كان الابن الأكبر للإمام^(٢). وقد ادعى في كتاب أعلام الإسماعيلية: أن إسماعيل «رحمه الله» مات سنة ١٣٨ هـ.

وقال ابن خلدون - كما في كتاب أعلام الإسماعيلية أيضاً -: إنه «رحمه الله» مات سنة ١٤٥ هـ.

وفي عمدة الطالب ص ٢٣٣: أنه «رحمه الله» توفي سنة ١٣٣ هـ. قبل وفاة أبيه بعشرين سنة.

ونقول:

بل تكون قبلها بخمس عشرة سنة، لأن الإمام الصادق «عليه السلام» توفي سنة ١٤٨ هـ. بالاتفاق.

٣ - كان الأئمة «عليهم السلام» حين يسألون الواحد من شيعتهم عن الإمام من بعده يقول: هو الأكبر من ولدي، أو نحو ذلك.. وإذا كان إسماعيل أكبر ولد الإمام الصادق «عليه السلام»، فإن من الطبيعي أن يدور بخلد الكثيرين أنه سيكون الإمام بعد أبيه، ولا سيما مع ما كان يظهر من حب ورعاية أبيه له، واهتمامه به، فكان لا بد من دفع الشبهة، بعد موت إسماعيل في حياة أبيه،

(١) إعلام الوري ص ٢٨٤ وراجع: الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢١٠ ومصادر أخرى.

(٢) أعلام الإسماعيلية ص ١٦٢.

فكان أن اعتمد في دفعه ما يلي..

٤ - إن إسماعيل قد مات في حياة أبيه بالعريض (واد قرب المدينة)، وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة، حتى دفن بالبقيع.. فروي:
أن الإمام «عليه السلام» جزع جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً،
وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء.

قالوا: وسجد سجديات عند احتضاره، وجزع جزعاً شديداً عند موته،
وقبل ذقنه، ونحره، وجبهته، ثلاث مرات (١).

٥ - أمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف
عن وجهه، وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الطائين خلافته له
من بعده، وإزالة الشبهة عنهم في حياته (٢).

٦ - قد نتج عن ذلك وسواه مما سوف نذكره:

أنه لما مات إسماعيل انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن
ذلك ويعتقده من أصحاب أبيه «عليه السلام».
وأقام على الاعتقاد بأن إسماعيل لم يمت طائفة لم تكن من خواص أبيه،

(١) كمال الدين ص ٧١ و ٧٣ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٦١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٣ ص ٢٩٨ و ٥٢ و (الإسلامية) ج ٢ ص ٩٣٤ و ٧٥٧ وبحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٤٧ و ٢٤٨.

(٢) راجع: الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ وإعلام الوري ص ٢٨٤ و آل البيت لإحياء التراث - قم المشرفة) ج ١ ص ٥٤٦ وبحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٤٢ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ١٨٠ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٩٥.

بل كانت من الأبعد..

وقد ثبت فريق من هؤلاء الأبعد على هذا، وقال الشيخ المفيد، والشيخ الطبرسي «رحمهما الله»: هم اليوم شذاذ لا يعرف منهم أحد يومى إليه، ويسمون بالإسماعيلية^(١).

٦ - إن الإمام الصادق «عليه السلام» صرح في حياة إسماعيل: بأن الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» هو الإمام من بعده^(٢).

ويبدو: أن هذا النص على إمامة الكاظم «عليه السلام» في البداية قد بقي في محيط خاص، ولم يصل إلى مسامع المصطادين في الماء العكر، ممن يخشى منهم.

وفي المقابل لا يوجد أي نص من الإمام الصادق يدل على إمامة إسماعيل بعده، بل هناك اهتمام منه «عليه السلام» بإسماعيل.

٧ - إن ما ورد من أحاديث في ذم إسماعيل - بالرغم من ظهور جلالته، وشدة حب واعتناء أبيه به - لعله صدر لبيان عدم استحقاقه للإمامة، ويعطي

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢١٠ وإعلام الورى ص ٢٨٤ و (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم المشرفة) ج ١ ص ٥٤٧ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ١٨١ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٩٥ وبحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٤٢.

(٢) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص ٣٥٤ و (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ٢ ص ٦٤٢ - ٦٤٣ و راجع: الإختصاص ص ٢٩٠ والرواية صحيحة السند، ومدينة المعاجز ج ٦ ص ١٧ وبصائر الدرجات ص ٣٥٩ وبحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٦ و ٢٥ و ٢٢ والغيبة للنعماني ص ٣٤٥ و راجع: كشف الغمة للأربلي.

الواعين من أصحابه «عليه السلام» ما يحفظهم من الإنزلاق إلى متاهات خطيرة في هذا الأمر، وليكونوا هم الحفظة للآخرين في الآتي من الأيام.. وهي روايات تشبه ما ورد في ذم زرارة ومحمد بن مسلم وسواهما، من خيرة أصحاب الأئمة «عليهم السلام».

٨ - قد قال «عليه السلام»: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني»، وهي كلمة مبهمة، حيث لم يذكر في أي شيء كان البداء في إسماعيل.. هل بدا له في موته؟! أو في نجاته من القتل مرتين؟! أو في إمامته؟! أو في أي شيء آخر؟! فإن هذه الكلمة صالحة للإنطباق على ذلك كله وغيره.

وظن أبي بصير وغيره من أصحاب الإمام «عليه السلام»: بأن إسماعيل وصي أبيه، ثم توهم حصول البداء في هذا الأمر، لا يحدد مقصوده «عليه السلام» من هذه الكلمة، ولا يمنع من أن يكونوا قد أخطأوا في ظنهم، ولأجل ذلك قال الشيخ المفيد «قدس الله نفسه الزكية»:

«أراد بالبداء: ما ظهر من الله فيه، في دفع القتل.

وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين، فسألت الله تعالى رفعه عنه، فرفعه»^(١).

٩ - وهناك غموض آخر في هذه الكلمة المباركة، وهو: أن الإمام الصادق «عليه السلام» هل قصد بكلامه هذا ولده إسماعيل، أو قصد إسماعيل بن

(١) شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد، وتصحيح الاعتقاد (مطبوع مع أوائل المقالات) ص ١٦٢ والفصول المختارة للشيخ المفيد ص ٣١٠ والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص ١٠٠.

إبراهيم «على نبينا وآله، وعليهما الصلاة والسلام»، فإن بعض الروايات صرحت بالأمرين، أو كادت.

١٠ - فمما دلّ على الإحتمال الأول قوله «عليه السلام»: إسماعيل «ابني» بالنون.

ألف: ما رواه زيد، عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: ما بدا لله أعظم من بداء كما بدا له في إسماعيل ابني^(١).

ب: ما روى زيد عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: إن شيطاناً قد ولع بابني إسماعيل يتصور في صورته ليفتن به الناس، وإنه لا يتصور في صورة نبي ولا وصي نبي، فمن قال لك من الناس: إن إسماعيل ابني حي لم يمت، فإنما ذلك الشيطان تمثل له في صورة إسماعيل.

ما زلت أبتهل إلى الله عز وجل في إسماعيل ابني أن يحييه لي، ويكون القيم من بعدي، فأبى ربي ذلك.

وإن هذا شيء ليس إلى الرجل منا يضعه حيث يشاء، وإنما ذلك عهد من الله عز وجل يعهده إلى من يشاء..

فشاء الله أن يكون موسى ابني، وأبى أن يكون إسماعيل، ولو جهد الشيطان أن يتمثل بابني موسى ما قدر على ذلك أبداً، والحمد لله^(٢).

(١) الأصول الستة عشر - عدة محدثين - ص ٥٠ والتوحيد للصدوق ص ٣٣٦ وكمال الدين ص ٦٩ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٩ و ١٢٢ وج ٤٧ ص ٢٦٩.

(٢) الأصول الستة عشر - عدة محدثين - ص ٤٩ وبحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٦٩.

قوله «عليه السلام»: وإن هذا شيء ليس إلى الرجل منا يضعه حيث يشاء.
وقوله: أن يحويه لي: مراده: أن يقيه حياً.

وهذا منه «عليه السلام» لمكافحة الظنون التي شاعت في الناس حول
إسماعيل من جهة، وحول إمامة إسماعيل بعد أبيه.

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» قال: «ما بدا لله بدء كما بدا له في
إسماعيل ابني، يقول: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه
قبلي لئعلم بذلك: أنه ليس بإمام بعدي^(١)».

١١ - لكن بعض الروايات تقول: إن كلمة «ابني» تصحيف لكلمة أبي،
والمقصود بأبيه: هو إسماعيل «عليه السلام»، ابن شيخ الأنبياء إبراهيم «عليه
السلام»، على قاعدة قوله تعالى: ﴿مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢).. وعلى هذا،
فالمقصود بإسماعيل: إسماعيل ابن نبي الله إبراهيم «عليهما السلام».

فلاحظ ما يلي:

ألف: قال الشيخ الصدوق «قدس الله نفسه الزكية»: روي لي من طريق
أبي الحسين الأسدي «رضي الله عنه» في ذلك شيء غريب، وهو:
أنه روي: أن الصادق «عليه السلام» قال: ما بدا لله بدء كما بدا له في إسماعيل
أبي إذا (لعل الصحيح: إذ) أمر أباه إبراهيم بذبحه، ثم فداه بذبح عظيم^(٣).

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ص ٣٣٦ وكمال الدين ص ٦٩ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٩.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق ص ٣٣٦.

ب: قال الغزالي: وحكوا عن جعفر بن محمد أنه قال: ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل. أي في أمره بذبحه^(١).

١٢ - إن دفع القتل عن إسماعيل ابن الإمام «عليه السلام» مرتين، من أجل حفظ سلامة اعتقاد الناس، هو أمر لم يحصل حتى لإسماعيل الذبيح. ولو أن الإمام الصادق «عليه السلام» مات قبل ابنه إسماعيل، فإن ذلك سوف يدعو إلى تشبث الجهلة، وأهل الأهواء بادعاء الإمامة له، وربما جعلوا ذلك ذريعة لتأكيد دعواهم انتقال الإمامة إلى ولده.. وتزيد الشبهات وتحصل الإنقسامات بنحو أكبر وأخطر.. وحين يريد الإمام أن يعلن إمامة ولده موسى، فسيجد آذاناً صماء، وتعصبات عمياء، وربما توجه الاتهامات الظالمة إلى الإمام الصادق نفسه، وتحصل الخدشة في سلامة المذهب نفسه.

١٣ - ويبدو لنا: أن الإمام الصادق «عليه السلام» قد كرر حديث البداء في إسماعيل في مناسبات عدة، وتصبب كلها في اتجاه دفع الشبهات، وتضييق الخناق على مثيريها، ومحاصرتهم، وتقويض جهدهم.. فتراه يستعمل نفس العبارة مرة: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل»، ثم يضيف إليها كلمة «ابني»، ثم يذكرها مصرحاً: بأنه يريد إسماعيل بن إبراهيم. وربما قال «أبي» بدل «ابني»، إن صحت رواية أبي الحسين الأسدي.

١٤ - وعلى سبيل الإيضاح، نقول:

روي في حديث طويل عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيِّ جَمِيعاً، عَنْ الْفَتْحِ

بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ «عليه السلام» قَالَ: إِنَّ اللَّهَ إِرَادَتَيْنِ وَمَشِئَتَيْنِ: إِرَادَةَ حَتْمٍ، وَإِرَادَةَ عَزْمٍ.. يَنْهَى وَهُوَ يَشَاءُ، وَيَأْمُرُ وَهُوَ لَا يَشَاءُ.

أَوْ مَا رَأَيْتَ أَنَّهُ نَهَى آدَمَ وَزَوْجَتَهُ أَنْ يَأْكُلَا مِنَ الشَّجَرَةِ، وَشَاءَ ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَأْكُلَا لَمَا غَلَبَتْ مَشِئَتُهُمَا مَشِئَةَ اللَّهِ تَعَالَى؟!

وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَذْبَحَهُ، وَلَوْ شَاءَ لَمَا غَلَبَتْ مَشِئَةُ إِبْرَاهِيمَ مَشِئَةَ اللَّهِ تَعَالَى؟! (١).

أي أن نهي الله تعالى لآدم «عليه السلام» عن الشجرة كان نهي شفقة ورفق، لأنه تعالى كان يعلم أن أكله منها سوف يحمله مسؤوليات جساماً.. ولكنه تعالى كان يشاء لآدم أن يأكل منها، لأن ذلك خير لآدم «عليه السلام»، لأنه تعالى لا يشاء لعباده أن يفعلوا معصية.

وهذا يؤيد ما قلناه في كتابنا براءة آدم، من أن آدم أراد نيل أرقى المقامات عند الله، وأن يكون مع الأنوار الخمسة التي رآها مطيفة بالعرش، ولو لم يرد ذلك لما استحق الإصطفاء، ونيل مقام النبوة. ولكن الله نهاه عن هذا السعي، لعلمه بأنه لن يتمكن من الحصول على ما يريد، لأن هذا المقام خاص بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل البيت «عليهم السلام». ولكنه تعالى قد شاء له أن يبذل المحاولة، ليظهر جدارته بالنبوة، وإن كان لا يحقق مطلوبه، ولو كان آدم لا يعرف أن نهي الله له هو نهي رفق وإشفاق لم يقدم على الأكل من الشجرة،

(١) الكافي ج ١ ص ١٥١ ومرة العقول ج ٢ ص ١٦١ والتوحيد للصدوق ص ٦٤ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ١٨٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١ ص ٣٦٤ وج ١١ ص ١٦٠ و ١٦٢ وروضة المتقين ج ١٢ ص ٥٨ والفصول المهمة للحر العاملي ج ١ ص ٢٣٠.

كما أوضحناه في كتابنا: «براءة آدم».

١٥ - وقد جرى لأبي جعفر محمد بن علي الهادي، (المدفون بين بغداد وسامراء)، وأبي محمد الإمام العسكري «عليه السلام» ما يشبه ما جرى للإمام الكاظم «عليه السلام» وأخيه إسماعيل، وقد قال الإمام الهادي «عليه السلام» لأبي هاشم الجعفري:

«نَعَمْ يَا أَبَا هَاشِمٍ، بَدَا لِلَّهِ فِي أَبِي مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَبِي جَعْفَرٍ مَا لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ لَهُ، كَمَا بَدَا لَهُ فِي مُوسَى بَعْدَ مُضِيِّ إِسْمَاعِيلَ مَا كَشَفَ بِهِ عَنْ حَالِهِ [إِلَى أَنْ قَالَ] وَأَبُو مُحَمَّدٍ ابْنِي الْخَلْفُ مِنْ بَعْدِي، عِنْدَهُ عِلْمٌ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ آلَةُ الْإِمَامَةِ»^(١).

قالوا: ولما مات أبو جعفر محمد بن علي الهادي، وفرغ من غسله قال الإمام الهادي «عليه السلام»: يا بني، أحدث لله شكراً، فقد أحدث الله فيك أمراً^(٢).

١٦ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ «عليه السلام»: إِنْ كَانَ كَوْنٌ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ، فإِلَى مَنْ؟!

قَالَ: عَهْدِي إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِي^(٣).

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢٧ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٣١٩ والغيبة للطوسي ص ٨٢ و ٢٠٠ ومدينة المعاجز ج ٧ ص ٥٢٢ وبحار الأنوار ج ٥٠ ص ٢٤١ و مرآة العقول ج ٣ ص ٣٩١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٠١.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٠ و مرآة العقول ج ٣ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ والكافي ج ١ ص ٣٢٦ وخاتمة المستدرک ج ٤ ص ٤٨٤ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٣١٨ و ٣١٥ و ٣١٦ والغيبة للطوسي ص ٢٠٣ وإعلام الوری ج ٢ ص ١٣٣ و ١٣٤.

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٢٦ وروضة الواعظین ص ٢٤٧ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٣١٦

١٧ - وقد ذكرنا فيما سبق: أن الإرتكاز العام لدى الناس: هو أن الإمام اللاحق هو الأكبر من أولاد الإمام السابق.

وهذا ما أشير إليه في النص التالي:

«الفرقة الثامنة قالت بمثل مقالة الفطحية: إن الحسن بن علي توفي وهو إمام بوصية أبيه إليه، وإن الإمامة لا تكون إلا في الأكبر من ولد الإمام ممن بقي منهم بعد أبيه، لا ممن مات في حياة أبيه، ولا في ولده الخ..»^(١).

وقد ذكرنا الأقوال حول أن الأكبر، هل هو الشهيد في كربلاء، أو هو الإمام السجاد «عليه السلام» في كتابنا: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج ٤ فراجع.

وأما ما ذكره بعض الإخوة الأكارم حول انخرام الإرتكاز الذي يذهب إلى أن الإمام اللاحق هو الأكبر من أولاد الإمام السابق، قد انخرم في الإمام السجاد «عليه السلام»، لأن الأكبر هو أخوه علي الأكبر الشهيد في يوم عاشوراء، فإرد عليه:

أن علياً الأكبر قد استشهد في حياة أبيه، والإرتكاز هو على أن الأكبر من ولد الإمام حين وفاة الإمام يكون هو الإمام بعده..

على أننا قد ذكرنا: أن الأقوال في عمر الإمام السجاد «عليه السلام»،

والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ٢٢٧ ومرة العقول ج ٣ ص ٣٨٩ وبحار

الأنوار ج ٥٠ ص ٢٤٤ وإعلام الوري ج ٢ ص ١٣٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٠.

(١) نشأة الشيعة الإمامية، تأليف نبيلة عبد المنعم داود ص ٢٧٥ عن المقالات والفرق

لسعد القمي ص ١١١.

وعمر علي الأكبر، لا تدل على خلاف ذلك..
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي
عيثا الجبل - جبل عامل

الجبر في الآخرة

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد.. فهناك من يرى: أن أحداً لا يعصي الله تعالى في الآخرة، وأن ذلك ممنوع، لأن التكوين والجبر هو الحاكم، فلا أحد يقدر على المعصية.

وإنما أعطيت الحرية والإختيار لمن يعصي الله في الدنيا لهُوانها على الله..

فهل هذا صحيح؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

إن صدق ظني في فهم هذا الكلام، فلعل مقصود قائله، ليس هو سلب الإختيار من العبد تكوينياً، بحيث يتحول إلى آلة صماء عمياء، بكماء، يحركها من يتحكم بها كيف ومتى يشاء..

بل المراد: أن الخلق العصاة في الدنيا إنما يعذبون في الآخرة بأعمالهم، فحاله حال من دخل تنوراً ملتهباً بالنار، أو ألقى نفسه في فوهة بركان، أو

دخل بيتاً مملوءاً بالأفاعي والعقارب، والسباع، وأقفل على نفسه كل باب، فلا يجد مناصباً، ولا خلاصاً مما هو فيه..

وهذا حال أهل النار، فإنهم هم الذين فعلوا ذلك بأنفسهم، وباختيارهم وإرادتهم، فما يحصل لهم من آلام، وإن كان أمراً تكوينياً في نفسه، ولكنهم هم الذين اختاروه وأرادوه، وألقوا أنفسهم فيه.

أما أهل الجنة، فالمراد من الجبر والتكوين في الجنة: أن المفروض بكل من يدخل الجنة أن يكون عاقلاً سوياً في خلقه، وخلقه، حكيماً راشداً، يميز بين الأمور، ويختار منها ما هو رشيد وسديد، وأن يكون أيضاً شاكراً وفيّاً، صادقاً مع نفسه، باغياً الخير والصلاح لها..

وهو في الجنة يرى نفسه في نِعَم غامرة، وعطايا باهرة، ويرى: أن له ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت.. وهذا هو ما ينساق إليه برغبته، وتدعوه إليه شهوته، وينسجم مع فطرته، وعقله وحكمته. فلا يمكن أن يؤثر غيره مما يناقضه عليه.. إذا كان يؤدي به إلى الحرمان، والعذاب، وإلى الندم والإكتئاب، إلا إذا عرض له اختلال في عقله، وعمى في بصره وبصيرته، واختلت أو تلاشت عناصر الصلاح في فطرته.

وهذا الانقلاب مما لا يمكن أن يحصل لأهل الجنة، لأنه عمل تكويني، مرهون بالإرادة الإلهية التي لا يمكن أن تنتقل من العدل إلى الظلم، ومن الرحمة والرفقة إلى القسوة، ومن الكرم والتفضل إلى الشح والبخل، ولا يعتدي الله على أهل مملكته، بل هو رحيم عادل، كريم متفضل، لا يخلف وعده، ولا يظلم ولا يحرم عبده، ولا يمكن أن يفعل ما ينافي ألوهيته وربوبيته.

فإن كان مراد القائل هذا المعنى، فهو كلام سديد ورشيد.. وإن لم يبلغ في وضوحه البياني ما يزيل الوهم، ويصحح الفهم.

ولكي نساعد على إدراك معنى الاختيار في الآخرة نشير إلى طائفة كبيرة من الآيات التي أرشدت إلى هذا الاختيار، وربما نشير إلى اليسير من الروايات التي ألمحت إلى ذلك، فنقول:

دلائل الآيات:

هناك آيات كثيرة تدل على توفر عنصر الاختيار للخلق يوم القيامة، سواء في ذلك أهل النار منهم وأهل الجنة، وهذه الآيات لها مجالات مختلفة، ولا تنحصر في مجال بعينه.

ونذكر منها ما يلي:

أهل النار يكذبون:

هناك آيات تدل على أن أهل النار يكذبون، بل يحلفون على الكذب في الآخرة، والكذب قبيح ومبغوض في الدنيا والآخرة على حد سواء، فلاحظ:

١ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

فقد أنكر هؤلاء أن يكونوا قد عملوا أي سوء في حياتهم الدنيا، مهما كان حجمه أو نوعه، وقد كذبهم الله تعالى في قولهم هذا، بقوله لهم: ﴿بَلَى، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) الآية ٢٨ من سورة النحل.

ومعلوم: أن هذا الكذب فعل من أفعالهم، وقد صدر منهم يوم القيامة، فلو كان هناك جبر تكويني، فإن الله تعالى لا يجبرهم على هذا الكذب القبيح، فكيف إذا كان كذباً يهدف إلى الفرار من العدالة الإلهية، ويمثل جرأة على ذاته تعالى، من حيث إنه يمثل اتِّهاماً مبطناً له بالظلم، وبالجهل - والعياذ بالله -.. الأمر الذي دعا إلى الإستفادة من صيغة المبالغة في قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ تنزيهاً له تعالى عما يزعمه أولئك الجاهلون، والمتجرؤن عليه سبحانه..

٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا * فَقَدْ كَذَّبُكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾^(١).

فالمشركون ادَّعوا: أن سبب ما هم فيه هو إضلال معبوداتهم لهم: (الذين كان منهم ملائكة مقربون، وبشر صالحون، وفيهم شجر، وحجر، وشمس وقمر، وغير ذلك)..

وحيث إن بعض معبوداتهم لا عقل لها، فلا يعقل أن تكون هي التي أضلت المشركين.. كما أن الصالحين من البشر، وكذلك الملائكة لا يفعلون ذلك. وهذا يقتضي أن يكون الكلام موجهاً إلى المعبود من العقلاء، وهم الملائكة والصالحون من غيرهم..

وهؤلاء لا يضلون أحداً عن عبادة الله، وقد وجه تعالى السؤال عما رماهم

(١) الآيات ١٧ - ١٩ من سورة الفرقان.

المشركون به، ليقوموا هم بالإعلان عن كذب المشركين، وإبطال ما ادَّعوه عليهم..

فلما أجابوه بما عَلِمَ، عاد إلى المشركين ليقول لهم: إن معبوداتكم قد كذبتكم بما تقولون، ثم رتب الأثر على هذا الكذب، وهو: أن العذاب قد حَقَّ على أولئك الكاذبين، فلا يستطيعون صرفه عن أنفسهم، ولا يجدون ناصراً لهم، ومدافعاً عنهم، فكيف يصح القول: إن الله تعالى يجبر عباده في الآخرة على الكذب، ويخلقه فيهم تكويناً؟!

٣ - قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

يبدو: أن المشركين قد ادَّعوا: أنهم يعبدون الملائكة، وكانوا كاذبين في دعواهم، إنما كانوا يعبدون الجن، لأنهم كانوا يرون من الجن أموراً خارقة في ظاهرها، مما كانت طبيعة خلقتهم تمنحهم القدرة عليها.

فلما عاين المشركون أهوال يوم القيامة، ووجدوا ما وعد ربهم حقاً، لجأوا إلى الكذب، وادَّعوا أنهم يعبدون الملائكة، لأنهم رأوا أن الملائكة أقرب إلى الله، فظنوا أنهم بهذا الكذب يحصلون على شفاعتهم عند الله، ويتخلصون من العذاب، أو يحصلون على درجة تخفيفية بسبب هذه الشفاعة.

فسأل الله الملائكة عن صحة مزاعم المشركين، فأعلن الملائكة: أنهم يكذبون على الله سبحانه، وأنهم كانوا يعبدون الجن..

(١) الآيتان ٤٠ و ٤١ من سورة سبأ.

٤ - ولأن أهل النار يكذبون، ويحاولون إنكار الحقيقة، أو إخفاءها، اقتضى إظهار هذا الزيف: أن يُشهد الله عليهم جوارحهم، فقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

٥ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ

(١) الآيات ١٩ - ٢٢ من سورة فصلت.

(٢) الآية ٦٥ من سورة يس.

(٣) الآية ٢٤ من سورة النور.

وَعَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾.

أنظرونا: أي أمهلونا.

وتشير هذه الآيات المباركات، وغيرها إلى توفر عنصر الاختيار في الآخرة وهذا ما يقتضيه ما يجري من نقاش، واحتجاج، وأخذ ورد، وطلب معونة ورفض، وادعاءات واعتذارات.

وفي هذه الآيات المباركات نلاحظ: أن المنافقين والمنافقات لما رأوا أنفسهم بلا نور يهديهم، ويمنحهم القدرة على اللحاق بالذين آمنوا، طلبوا من المؤمنين أن يسمحوا لهم باقتباس شيء من أنوارهم، ليتمكنوا من الحصول على بعض النور منهم، فرفض المؤمنون ذلك وصدوهم بشدة، وأمروهم بالرجوع وراءهم. وهذا يعطي: أن ثمة اختياراً لدى هؤلاء وأولئك، كما أشرنا إليه فيما سبق.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُورِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٢).

فإن هذا الإصرار على عدم التسليم لله، وعلى عدم الضراعة له، بالرغم من أخذهم بالعذاب في البداية، فلم يتزحزحوا عن عنادهم، أدل دليل على عدم وجود جبر تكويني، يؤدي إلى جعل الإنسان في الآخرة بمثابة الآلة

(١) الآيات ١٢ - ١٥ من سورة الحديد.

(٢) الآيات ٧٥ - ٧٧ من سورة المؤمنون.

الصماء، والعمياء، والبكماء.

٧ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١).

فقد رأينا: أنه تعالى يصرح: بأن هؤلاء القوم يحلفون كذباً وزوراً.. وهم يعلمون بكذبهم في حلفهم.. كما أنهم في الآخرة سوف يحلفون على الكذب. ويكون حلفهم له تعالى..

وهم يعلمون بكذبهم في حلفهم أيضاً.

وهذا يعطي: أن وقاحتهم، وقباحتهم لا حدود لها، ولا قيود عليها.. فالمهم عندهم هو إبعاد العذاب عن أنفسهم، وقد اتخذوا أيمانهم الكاذبة جنة لهم في الدنيا للتستر على قبائحهم وكفرهم، وضلالهم، وسوئهم، وأهدافهم الشريرة، وجنة لهم في الآخرة يريدون أن يدفعوا بها عذاب الله عن أنفسهم.

٨ - قوله تعالى: عن المكذبين بالكتب والرسالات: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ

(١) الآيات ١٤ - ١٨ من سورة المجادلة.

قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

فقد رأينا: أنه تعالى قد واجه هؤلاء بالعذاب الذي يستحقونه، وهو عذاب أليم وشديد، وسألهم عن معبوداتهم: لماذا لا يغيثونهم، ويدفعون عنهم هذه الشدائد الهائلة، فإن هذا هو وقت الحاجة إليهم؟!.

فأجابوا بجوابين متناقضين، هما:

الأول: قالوا عن معبوداتهم: ضلوا عنا.. وهذا الجواب يستبطن اعترافاً بأنهم قد عبدوا غير الله..

مما يعني: أنهم يستحقون هذا العقاب النازل بهم.. لأن قولهم: ضلوا عنا: أنهم تركوهم، وانصرفوا عنهم، أو أنهم تاهوا عنهم.

ولا يصح أن يقال: إنهم قد تيقنوا من ضلالتهم وخطئهم، بعد أن سحبوا بالسلاسل، وسجروا بالنار، لأن دعوات الأنبياء ومعجزاتهم، وبياناتهم لم تدع لهم عذراً في الدنيا قبل الآخرة، والله الحجة البالغة..

ثم انتبهوا لهذا الأمر، فعدلوا إلى اعتماد الكذب، فأضربوا عن هذا الجواب إلى جواب آخر، فقالوا: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾، فلعل هذا الكذب - بزعمهم - يدعو إلى تخفيف الوطأة عليهم، فإن عدم اتخاذ أرباب غير الله قد يفهم منه: أنه لم يروا فيها ما يستحق العبادة.

أما عدم عبادتهم لله، فلعله بسبب استغراقهم في الجهل، وعدم حصولهم على ما يزيل شكوكهم، ويدحض شبهاتهم.

(١) الآيات ٧١ - ٧٤ من سورة غافر.

وهناك آيات كثيرة أخرى تشير إلى أن أصحاب النار يناقشون، ويقترحون، ويطلبون، ويعدون، ويتصرفون تصرفات الإنسان التام الاختيار، حتى وهم يعانون العذاب الأليم، والحزي المقيم.

أهل الجنة يختارون أيضاً:

وقد تحدثت الآيات المباركة عن أهل الجنة بما يدل على أنهم مختارون أيضاً، فلاحظ الآيات التالية:

١ - قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

٢ - قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾^(٢).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

٤ - قوله سبحانه: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٤).

(١) الآية ٣١ من سورة النحل.

(٢) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة الفرقان.

(٣) الآيتان ٣٣ و ٣٤ من سورة الزمر.

(٤) الآية ٢٢ من سورة الشورى.

٥ - قوله تبارك وتعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿١﴾.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٢﴾.

فالمشيئة، والإختيار منهم، والاستجابة لمشيئتهم، والعطاء منه تعالى، فللمشيئة منهم سببية في الحصول على هذا العطاء منه تعالى، وهو يعطيهم إياه على سبيل التملك، ولذا قال: ﴿لَهُمْ﴾.

ولأنهم قد عاينوا من عظمتهم جل وعلا ما يبهر العقول، ويوجب الدهول، وقد غمرهم بفضله، ورعايته، فمن الطبيعي: أن يصبح رضاه رضاهم، فلا يحبون إلا ما أحب.

قال العلامة الطباطبائي «رحمه الله»: «وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. أي إن نظام الأسباب مطوي فيها، بل السبب الوحيد، هو إرادتهم وحدها، يخلق الله لهم من عنده ما يشاءون، ذلك هو الفضل الكبير» (٣).

وإذا كان للمؤمنين ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (٤)، وفي آية أخرى:

(١) الآيتان ٣٣ و ٣٤ سورة ق.

(٢) الآيتان ٧٣ و ٧٤ من سورة الزمر.

(٣) الميزان (تفسير) ج ١٨ ص ٤٢.

(٤) الآية ٧١ من سورة الزخرف.

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(١).

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾^(٢).

وفي آية أخرى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾^(٣).

وكل ذلك يشير إلى عنصر الاختيار لديهم، وتأثيره في التسبب للحصول على ما اشتتهه أنفسهم.

ولكن أهل النار - كما قال تعالى - قد ﴿حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٤).

للتأكيد والتوضيح:

٧ - ونذكر أخيراً قوله تبارك وتعالى: ﴿وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٥).

وقد جمعت هاتان الآيتان المباركتان بين معنى الاختيار، الذي يكون بعد ملاحظة الخصوصيات، والموازنة بينها في كل مورد مع خصوصيات غيره، ثم يكون الترجيح لأحدها، بملاحظة الخصوصية المشار إليها، والمرغوب فيها. وهو ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.. وبين ما تنشده إليه النفس ابتداءً، ولو من دون وجود ما يوازيه، (مما يحتاج إلى الترجيح، ثم الاختيار)، بل يكون اشتهاؤه ابتداءً هو السبب في تقديمه لهم وهو ما أشير إليه بقوله:

(١) الآية ١٠٢ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٣١ من سورة فصلت.

(٣) الآية ٥٧ من سورة يس.

(٤) الآية ٥٤ من سورة سبأ.

(٥) الآيتان ٢٠ و ٢١ من سورة الواقعة.

﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾.

شواهد من الأخبار:

ونذكر من الأخبار بضعة شواهد، ربما كانت مورداً للنقاش، من حيث السند، ومن حيث الإعتماد على المصادر المأخوذة منها..

ولكننا نقول:

إن السند ولو لم يكن معتمداً، أو كان مفقوداً.. والمصدر، وإن كان موضع نقاش، ولكن ذلك لا يعني أن الحديث الضعيف من جهة سنده، أو مصدره، يكون مكذوباً، فكيف إذا كان موافقاً للأصول المعتمدة، ومنسجماً مع آيات القرآن الكريم..

وما أردنا إيراده هنا هو ما يلي:

١ - عن الإمام العسكري «عليه السلام» أنه قال: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

من أعان ضعيفاً في بدنه على أمره، أعانه الله على أمره، ونصب له في القيامة ملائكة يعينونه على قطع تلك الأهوال، وعبور تلك الخنادق من النار، حتى لا يصيبه من دخانها، وعلى سمومها، وعلى عبور الصراط إلى الجنة آمناً»^(١).

٢ - وفي تفسير العسكري «عليه السلام» أيضاً:

«إن من الناس من يقول في الآخرة: قد كنت لعلي «عليه السلام» بالولاية شاهداً، ولآل محمد «صلى الله عليه وآله» محباً، وهو في ذلك كاذب، يظن أن

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٦٦ عن تفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص ٦٣٧.

كذبه ينجيه.

فيقال لهم: سوف نستشهد على ذلك علياً «عليه السلام»، فتشهد أنت يا أبا الحسن، فتقول: الجنة لأوليائي شاهدة، والنار لأعدائي شاهدة، فمن كان منهم صادقاً خرجت إليه رياح الجنة ونسيمها، فاحتملته، فأوردته إلى أعلى غرفها، وأحلته دار المقامة من فضل ربه، لا يمسّهم فيها نصب، ولا يمسّهم فيها لغوب، ومن كان منهم كاذباً، جاءته سموم النار وحميمها، وظلها الذي هو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب، فتحمله وترفعه في الهواء، وتورده نار جهنم»^(١).

٣- روى في كتاب الاختصاص، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن سعيد بن جناح، عن عون بن عبد الله الأزدي، عن بعض أصحابنا، عن الإمام الصادق «عليه السلام» عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رواية مطولة تتحدث عما يجري على المؤمن من حين موته، إلى حين وصوله إلى الجنة، وفيها الفقرات التالية:

«فتستقبله الملائكة معهم النوق والبرازين، والحلي والحلل، فيقولون: يا ولي الله، اركب ما شئت، والبس ما شئت، وسل ما شئت..
قال: فيركب ما اشتهى، ويلبس ما اشتهى..».

إلى أن تحكي الرواية عما يكون لمن يدخل الجنة، فتقول:
«فإذا اشتهوا الطعام جاءهم طيور بيض، يرفعن أجنحتهن، فيأكلون من

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٦٦ عن تفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص ٤٠٥.

أي الألوان اشتهاوا، جلوساً إن شاؤا، أو متكئين، وإن اشتهاوا الفاكهة تشعبت إليهم الأغصان، فأكلوا من أيها اشتهاوا»^(١).

٤ - روى ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق «عليه السلام» في حديث عن الآخرة قال: «ثم يجاء بمحمد «صلى الله عليه وآله» في أهل زمانه، فيقال له: يا محمد، بلغت رسالتني، واحتججت على القوم بما أمرت أن تحدثهم به؟ فيقول: نعم يا رب.

فيسأل القوم: هل بلغكم، واحتج عليكم؟!!

فيقول قوم: لا.

فيسأل محمداً «صلى الله عليه وآله»، فيقول: نعم يا رب - وقد علم الله تبارك وتعالى أنه قد فعل ذلك - يعيد ذلك ثلاث مرات، فيصدق محمداً، ويكذب القوم، ثم يساقون إلى نار جهنم.

ثم يجاء بعلي في أهل زمانه، فيقال له كما قيل لمحمد «صلى الله عليه وآله»، ويكذبه قومه، ويصدق الله ويكذبهم، يعيد ذلك ثلاث مرات.. ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين الخ..^(٢).

٥ - روى الصدوق عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله «عليه

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢١٠ - ٢١٢ والإختصاص للمفيد ص ٣٥٠ - ٣٥٣ وألف حديث في المؤمن ص ٢٩٩ - ٣١١.

(٢) الزهد للحسين بن سعيد الكوفي ص ١٠٤ وبحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٤ عن الحسين بن سعيد أو النوادر.

السلام» قال:

إن آخر عبد يؤمر به إلى النار، فيلتفت، فيقول الله عز وجل: أعجلوه..

فإذا أتى به، قال له: عبدي لم التفت؟!!

فيقول: يا رب ما كان ظني بك هذا.

فيقول الله جل جلاله: عبدي، وما كان ظنك بي؟!!

فيقول: يا رب، كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي، وتدخلني جنتك.

فيقول الله: ملائكتي، وعزتي وجلالي، وبلائي، وارتفاع مكاني، ما ظن بي هذا ساعة من حياته خيراً قط، ولو ظن بي ساعة من حياته خيراً ما رَوَّعته بالنار، أجزوا له كذبه، وأدخلوه الجنة^(١).

وفي الختام نقول:

إننا نحسب أن ما ذكرناه في هذه العجالة يكفي في إيضاح المقصود، فإننا لا نجد أثراً للجبر التكويني، لا عند أهل النار، ولا عند أهل الجنة.

ولذلك قلنا في بداية هذه الإجابة: إن من البعيد أن يكون مقصود من أطلق هذا القول يتعدى ما ذكرناه في أول هذه الإجابة..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،

(١) ثواب الأعمال للصدوق ص ٢٠٦ و (منشورات الشريف الرضي - قم) ص ١٧٣

وبحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٧ عنه، ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٥ ص ٢٣١ و

(الإسلامية) ج ١١ ص ١٨١ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٣٥. وراجع: الزهد

للحسين بن سعيد الكوفي ص ٩٧

محمد وآله الطاهرين..

آخر شهر أيلول سنة ٢٠١٨ م ش.

٢٠ محرم سنة ١٤٤٠ هـ ق.

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

حجية القطع بالمعتقدات الباطلة

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

ما حقيقة ما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي من قول البعض: إن الكفار معذورون بسبب قطعهم، ولا يعذبهم الله، ولا يعاقبهم، لأن القطع حجتة ذاتية، وأن علماء سائر الأديان، بسبب بيئتهم يقطعون بصحة دينهم، وبطلان دين غيرهم، وإنما يعاقب الجاحد فقط، وهؤلاء الذين يتركون الناس ويذهبون إلى صومعتهم، إنما يعبدون الله..

يقول الإمام الخميني «قدس سره» في كتاب المكاسب المحرمة ج ١ ص ١٣٣:

«بل لأن أكثرهم، إلا ما قلّ ونذر جهال قاصرون لا مقصرون..

أما عوامهم فظاهر، لعدم انقداح خلاف ما هم عليه من المذاهب في أذهانهم، بل هم قاطعون بصحة مذهبهم، وبطلان سائر المذاهب، نظير عوام المسلمين، فكما أن عوامنا عالمون بصحة مذهبهم، وبطلان سائر المذاهب من غير انقداح خلاف في أذهانهم، لأجل التلقين والنشؤ في محيط الإسلام، كذلك عوامهم، من غير فرق بينهما من هذه الجهة، والقاطع معذور في متابعة قطعه، ولا يكون عاصياً وآثماً، ولا تصح عقوبته في متابعته.

وأما غير عوامهم، فالغالب فيهم أنه بواسطة التلقينات من أول الطفولية

والنشؤ في محيط الكفر: صاروا جازمين ومعتقدين بمذاهبهم الباطلة بحيث كل ما ورد على خلافها ردوها بعقولهم المجبولة على خلاف الحق من بدو نشؤهم، فالعالم اليهودي والنصراني كالعالم المسلم لا يرى حجة الغير صحيحة وصار بطلانها كالضروري له، لكون صحة مذهبه ضرورية لديه لا يحتمل خلافه .

نعم، فيهم من يكون مقصراً لو احتمل خلاف مذهبه وترك النظر إلى حجته عناداً، أو تعصباً، كما كان في بدو الإسلام في علماء اليهود والنصارى من كان كذلك..

وبالجملة.. إن الكفار كجهال المسلمين، منهم قاصر، وهم الغالب، ومنهم مقصر، والتكاليف أصولاً وفروعاً مشتركة بين جميع المكلفين عالمهم وجاهلهم، قاصرهم ومقصرهم..

والكفار معاقبون على الأصول والفروع، لكن مع قيام الحجة عليهم لا مطلقاً، فكما أن كون المسلمين معاقبين على الفروع ليس معناه: أنهم معاقبون عليها سواء كانوا قاصرين، أم مقصرين، كذلك الكفار، طابق النعل بالنعل، بحكم العقل وأصول العدالة».

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنني أحب أن أشير إلى النقاط التالية:

١ - دلت بعض الروايات الشريفة على أن الله تعالى يريد من البشر: أن يعبدوه وفق ما رسم وقرر وأراد، لا وفق ما أرادوه، ومالت إليه قلوبهم، ودعت إليه شهواتهم.. ولا يختلف هذا الأمر بين الواجبات والمستحبات، حتى في مجال الأدعية..

وفي النصوص دلالات على ذلك، فلاحظ ما يلي:

ألف: روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» علّم البراء بن عازب دعاءً فيه هذه الكلمة: «..ونبيك الذي أرسلت..».

فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: «..ورسولك الذي أرسلت..».

فقال له «صلى الله عليه وآله»: «لا، ونبيك الذي أرسلت»^(١).

ب: وعن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: «ستصيبكم شبهة؛ فتبتقون بلا علمٍ يرى، ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق».

قلت: وكيف دعاء الغريق؟!

قال: تقول: «يا الله، يا رحمان، يا رحيم، يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك».

(١) راجع: مناهل العرفان ج ١ ص ١٨٢ عن التبيان، والتمهيد في علوم القرآن ج ٢ ص ١٠٤ والبيان لآية الله الخوئي ص ١٩٨ عن التبيان، وصحيح البخاري ج ١ ص ٦٧ وج ٧ ص ١٤٦ و ١٤٧ وعمدة القاري ج ٢٢ ص ٢٨٣ والترغيب والترهيب ج ١ ص ٤١٠ والإحكام ج ٢ ص ٢٠٦ وذم الكلام وأهله ج ٣ ص ٢١٧.

فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك.

فقال: إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول:
يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»^(١).

ج: وروي عن الإمام الباقر «عليه السلام» (وفي الوسائل والمحجة: الجواد)،
في حديث فضل الرجل الأكثر أدباً من صاحبه عند الله: أنه «عليه السلام»
علل ذلك بقوله: بقرائه القرآن من حيث أنزل^(٢)، ودعائه الله من حيث لا
يلحن، وذلك أن الرجل ليلحن؛ فلا يصعد إلى الله..

وحسب ما في الوسائل: فإن الدعاء الملحن لا يصعد إلى الله^(٣).

٢ - قال تبارك وتعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ
اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَمْتَدُّونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٤).

٣ - إن الأئمة «عليهم السلام» قد عرّفونا بالمراد من المستضعفين، فلاحظ
الروايات التالية:

(١) إكمال الدين ج ٢ ص ٣٥٢ وبحار الأنوار ج ٩٢ ص ٣٢٦ وإعلام الوري ص ٤٣٢.

(٢) في وسائل الشيعة: كما أنزل.

(٣) كنز العمال ج ٢ ص ١٨٩ عن ابن عساكر، والمحجة البيضاء ج ٢ ص ٣٠٩ ووسائل

الشيعة ج ٤ ص ٨٦٦ عن عدة الداعي ص ١٠.

(٤) الآيات ٩٧ - ٩٩ من سورة النساء.

ألف: عن علي بن سويد قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى «عليه السلام» وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب علي، ثم أجابني..

إلى أن قال: وسألت عن الضعفاء، فالضعيف من لم ترفع إليه حجة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف^(١)..

ب: وروي بسند صحيح عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف^(٢).

وروي ذلك بسند آخر عن أبي حنيفة، عن رجل من أصحابنا، عن الصادق «عليه السلام»^(٣).

ج: روى القمي «رحمه الله» عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن ضريس الكناسي^(٤)، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال:

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٤٤ وج ٧٥ ص ٣٣٢ وج ٦٩ ص ١٦٢ والكافي ج ٨ ص ١٢٤ و امرأة العقول ج ٢٥ ص ٢٩٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٤٦٧ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٥٣٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٣ ص ٥١٨ ومجمع البحرين ج ٥ ص ٨٤.

(٢) المحاسن للبرقي ج ١ ص ٢٧٧ والكافي ج ٢ ص ٤٠٦ و ٤٠٥ ومعاني الأخبار ص ٢٠١ وبحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٦٢ و امرأة العقول ج ١١ ص ٢١٣ و ٢١٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٤٦٧ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٦٨ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٥٧ و ١٥٩.

(٣) معاني الأخبار ص ٢٠٠ وبحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٦٢.

(٤) إن كان المراد به: ضريس بن عبد الملك (كما هو الظاهر)، فالرواية صحيحة.

قلت له: جعلت فداك، ما حال الموحدين المقرّين بنبوة محمد «صلى الله عليه وآله»، من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام، ولا يعرفون ولا يتكلم؟! ولا يتكلم؟!!

فقال: أما هؤلاء، فإنهم في حفرهم، ولا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، فإنه يُخَدَّ له خَدٌّ إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الرُّوح في حفرته إلى يوم القيامة، حتى يلتقى الله فيحاسب بحسناته وسيئاته، فما إلى الجنة، وإما إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله.

قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبُله، والأطفال، وأولاد المسلمين، الذين لم يبلغوا الحلم.

وأما النَّصَّاب من أهل القبلة، فإنه يُخَدَّ لهم خَدٌّ إلى النار التي خلقها الله بالشرق، فيدخل عليهم اللهب والشرر والدخان، وفورة الجحيم إلى يوم القيامة، ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم^(١).

د: وروى سليم عن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين قال له الأشعث: «والله لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت الأمة غيرك وغير شيعتك!

فقال «عليه السلام»: إن الحق والله معي يا ابن قيس كما أقول، وما هلك

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ٢٦٠ وبحار الأنوار ج ٦ ص ٢٨٦ و ٢٨٩ وج ٦٩ ص ١٥٨ والفصول المهمة للحر العاملي ج ١ ص ٣٣٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٤٦٧ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٧٧٠ ونور الثقلين (تفسير) ج ٤ ص ٥٣٥ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١١ ص ٤١٧ وخاتمة المستدرک ج ٥ ص ١٧ والكافي ج ٣ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ ومروءة العقول ج ١٤ ص ٢٢٨.

من الأمة إلا الناصيين، المكابرين^(١) [المكاثرين^(٢)]، والجاحدين، والمعاندين^(٣).
فأما من تمسك بالتوحيد، والإقرار بمحمد والإسلام، ولم يخرج من
الملّة، ولم يظهر علينا الظلمة، ولم ينصب لنا العداوة، وشك في الخلافة، ولم
يعرف أهلها وولاتها، ولم يعرف لنا ولاية، ولم ينصب لنا عداوة، فإن ذلك
مسلم مستضعف يرجى له رحمة الله، ويتخوف عليه ذنوبه^(٤).

وقد يستفاد من هذا: أنه لا يحكم بالإستضعاف فيما يرتبط بالأمور
الثلاثة الأولى.. والإستضعاف إنما يكون في سائر الأمور..

وهذا يعطي: أنه لا يوجد أحد من البشر يعذر في إنكاره لهذه الأمور
الثلاثة، وهي: «التوحيد، والنبوة، والإسلام».. ولأنها مقتضى فطرة البشر،
ومقتضى عقولهم..

ولكنهم قد يعذرون، إذا كان الإستضعاف بمستوى البلاءة والطفولة،
حتى لو راهقت البلوغ.. فادّعاء القصور في هذه الأمور لغير المسلمين، قلوا
أو كثروا في غير محله.

(١) في أكثر المصادر الأخرى، كسليم بن قيس، وإرشاد القلوب للدليمي، وبعض
الموارد في بحار الأنوار.

(٢) كما في بعض الموارد الأخرى في بحار الأنوار.

(٣) هكذا في المصدر، مع أن الصحيح هو الرفع، وأن يقول: الناصبون، المكابرون الخ..

(٤) بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٧١ وج ٦٩ ص ١٧٠ و ١٧١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج

البلاغة) ج ٣ ص ١٣ وإرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٩٧ وكتاب سليم بن قيس (ط

بيروت) ص ١٢٥ - ١٣٢.

هـ: عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «إن الرجل ليحبكم وما يدري ما تقولون، فيدخله الله الجنة، وإن الرجل ليغضكم وما يدري ما تقولون، فيدخله الله النار»^(١).

قال العلامة المجلسي: «ظاهره المستضعفون من العامة، فإن حبهم للشيعة علامة استضعافهم، ويحتمل المستضعفون من الشيعة أيضاً. أي ما يدري ما تقولون من كمال معرفة الأئمة»^(٢).

و: روى الصدوق عن سليمان بن خالد عن أبي جعفر، قال: سألته عن المستضعفين، فقال: البلهاء في خدرها.

والخادم تقول لها: صلي فتصلي، لا تدري إلا ما قلت لها.

والجليب الذي لا يدري إلا ما قلت له.

والكبير الفاني.

والصبي الصغير..

هؤلاء المستضعفون.

فأما رجل شديد العنق، جدل، خصم، يتولى الشراء والبيع، لا تستطيع أن تغبته في شيء تقول: هذا مستضعف؟! لا ولا كرامة^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٠ وج ٢٧ ص ١٣٦ وج ٣١ ص ٦٥٧ وج ٦٥ ص ٢٦ وج ٦٩ ص ١٥٩ والكافي ج ٨ ص ٣١٥ وفضائل الشيعة ص ٣٨ ومعاني الأخبار ص ٣٩٢ ومروءة العقول ج ٢٦ ص ٤١٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ١١١ وج ٦ ص ٤٦٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ٢٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٦١ و ١٦٢ ومعاني الأخبار ص ٢٠٣ ومستدرک سفينة البحار

ز: سأل زرارة أبا جعفر «عليه السلام» عن هذه الآية - أعني قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾^(١)، فقال:

هو الذي لا يستطيع الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيل الإيمان فيؤمن، والصبيان، ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم^(٢).

ح: روي عن سفيان بن السمط قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: ما تقول في المستضعفين؟!

فقال لي - شبيهاً بالمفزع -: وتركتكم أحداً يكون مستضعفاً؟!
وأين المستضعفون؟!

فوالله لقد مشى بأمركم هذا العواتق [إلى العواتق] في خدورهن، وتحدث به السقايات بطريق المدينة^(٣).

ج ٦ ص ٤٦٨ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٧٠ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٥٨ و ١٦٠.
(١) الآية ٩٨ من سورة النساء.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٦٠ و ١٥٧ والكافي ج ٢ ص ٤٠٤ ومعاني الأخبار ص ٢٠١
ومرآة العقول ج ١١ ص ٢٠١ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٤٦٨ وموسوعة
أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٩ ص ١٨٩ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٧٠٥ وتفسير
العياشي ج ١ ص ٢٦٩ وتفسير القمي ج ١ ص ١٤٩ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٥٦
و ١٥٧ و ١٦٠ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٣٤٠ وج ١ ص ٥٣٧ وكنز الدقائق
(تفسير) ج ٣ ص ٥١٥ وج ١٣ ص ٢٧٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٦٠ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٤٦٩ والكافي ج ٢
ص ٤٠٤ ومعاني الأخبار ص ٢٠١ ومرآة العقول ج ١١ ص ٢٠٩ ومستدرک سفينة

وسياقي: أن وسائل الإعلام المنتشرة في كل بقاع الأرض تنشر أخبار ما يجري في العالم، بل أوصلت خبر وجود الأديان المختلفة إلى معظم أهل الأرض، فإن وجد من لا يعلم بشيء من ذلك، فهو مستضعف.. ولكن هؤلاء هم مجموعات ضئيلة جداً، والسواد الأعظم ليس كذلك^(١).

والكلام إنما هو في قولهم: إن أكثر الناس معذورون، وإن قطعهم هو سبب معذوريتهم، ونحن لا ندعي: أن جميع الناس غير معذورين، بل نقول: هناك معذورون بقطعهم، وهم الغافلون غفلة حقيقية تامة، والمستضعفون العاجزون، الذين لا يجدون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، وهؤلاء هم الأقلون في زماننا هذا.

ط: عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، عن عمر [و] بن إسحاق، قال: سئل أبو عبد الله «عليه السلام»: ما حد المستضعف الذي ذكره الله عز وجل؟! و

قال: من لا يحسن سورة من القرآن، وقد خلقه الله عز وجل خلقه ما ينبغي له أن لا يحسن^(٢).

البحار ج ٦ ص ٤٦٩ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٥٣٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٣ ص ٥١٨ والشهاب الثاقب للبحراني ص ١٩١.

(١) على أن الأنبياء والأئمة «عليهم الصلاة والسلام» كانت لديهم وسائل نشر الدين وإيصال الحقائق للناس، بعضها عادي، وبعضها فوق ذلك، كما أشرنا إليه في كتابنا: المعجزات: رقي وغايات، للبشر في الحياة، فراجع إن أحببت.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٧١ وج ٦٩ ص ١٧٠ و ١٧١ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج

وهناك روايات أخرى، لا نرى ضرورة لإيرادها.

٤ - وبعدها تقدم نقول:

نستفيد من هذه الروايات أموراً كثيرة، نذكر منها:

ألف: إن الضعيف هو من يشبه الصبيان في ضعف الإدراك، وعدم الإستيعاب للأمر، وهو ما يسمى في أيامنا هذه بالمتخلف عقلياً، وإن كان يفعل ما يؤمر به، كما أن من لم تصل إليه الحجة يعدُّ مستضعفاً، ويعذر كما يعذر من وصلته الحجة ولم يعقلها^(١)..

وهناك من يتمثل ضعفه بعدم معرفته بالاختلاف بين الناس في الأمور الإعتقادية والدينية، إما لظروفه، وإما لضعف إدراكه.. فإذا عرف الاختلاف وجب عليه البحث عن الحق، ولا يكون مستضعفاً، والبحث عن الحق إنما يكون من خلال الحجج والأدلة.

وهناك من يكون غافلاً عن لزوم تحصيل الدليل، واعتمد على ما وصل إليه من محيطه وبيئته.. فهذا إنما يعذر ما دام غافلاً، فإذا وجَّه إليه سؤال عن دليله على صحة ما يعتقده، وبطلان ما يعتقده غيره، وتحير في الجواب، فقد زالت غفلته، ووجب عليه تحصيل الدليل^(٢).

البلاغة) ج ٣ ص ١٣ وإرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٩٧ وكتاب سليم بن قيس (ط بيروت) ص ١٢٥ - ١٣٢.

(١) والأول مستضعف، لقصور ذاتي، والثاني مستضعف لأمر خارج عنه، طارئ، مثل عدم الإطلاع على الحجة من غير تقصير.

(٢) قال بعض الإخوة الأكارم: ولا يقاس من عرف الاختلاف من الشيعة، فقصر في

ب: إن من يعرف بوجود اختلاف بين الناس في الإعتقادات، ولكنه لا يهتم له، ولا يبحث عنه، فهذا ليس بمستضعف، كما ذكرت الروايات، ويعاقب على اعتقاداته المخالفة للحق.

ج: أما الذين ينصبون العداوة لأهل الحق، وللأئمة الطاهرين «عليهم السلام»، فلا عذر لهم، بل يكون مصيرهم إلى النار، لخروجهم عن دائرة الإستهفاف، لمعرفةهم بأهل الحق وعداوتهم لهم.

د: وقد دلّ حديث سليم عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «على أن المسلم المكابر يدخل النار، لأنه يرى الحق ولا يخضع له، ويرفض قبول الحجة عليه، رغم وضوحها له.

والجاحد يدخل النار لجحوده للحق الذي تيقّنه في قلبه على قاعدة: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾. أي أعلنوا إنكار الحقائق ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾.

وكذلك المعاند، وهو من يُعلم أنه أبصر الحق، ولكنه يرفض قبوله، والإنصياح له، استكباراً وعلواً.

البحث، وأقام على ما هو الحق، بمن عرف الإختلاف من غيرهم، فقصر وأقام على الباطل..

فإن الأول يأتي ربه يوم القيامة، وهو على دين الحق، وإن كانت منزلته دون العالم المحقق، لما هو عليه.

أما الثاني، فيأتي ربه ضالاً، أو كافراً، فلا يصح أن يتخذ من وجود الشيعة السامعين بالإختلاف، التاركين للبحث والتحقيق ذريعة إلى جعل حال غيرهم ممن سمع الإختلاف كحالهم، فليلاحظ حقه.

كما أن الناصب يدخل النار، لمعرفته بوجود الخلاف، وهو يساهم فيه، ولكنه لا يريد الحق، بل يحاربه بكل ما أوتي من قوة وحول، انقياداً منه لمشاعره، الناشئة عن خبث باطنه، وحقده، فينصب العداوة لمن يجب عليه أن يتولاها. أما المسلم الشاك في الإمامة، ولم ينصب العداوة للإمامة وأهلها وولاتها، فهو مسلم مستضعف في بحثه عن الحقيقة، فإن عاجله أجله يحاسب بما قدّمه من عمل..

هـ: إن الروايات التي حددت الضابطة التي يكون الإنسان بها مستضعفاً ومعدوراً: بأنه الذي لم يعرف الخلاف، ولم تصل إليه حجة بعضها صحيح السند.

و: إن رواية زرارة المتقدمة عن أبي جعفر في تحديد المستضعف، يريد بها أن عدم القدرة على الإيمان والكفر الذي يجعل الإنسان في دائرة الإستضعاف هو عدم القدرة الناشئ من فقد الحجة، وعدم امتلاكه دليلاً يدلّه على الإيمان لكي يلتزم به.

وقد بين «عليه السلام»: أن القصور العقلي هو أن يصل إلى درجة أن يكون عقل رجل أو امرأة من الناس، مثل عقل الصبيان الذين رفع القلم عنهم.. وقد أكدت ذلك رواية سليمان بن خالد عن أبي جعفر أيضاً. حيث ذكرت مثلاً على الإستضعاف عدة أشخاص، مثل: البلهاء، والخدام التي تفعل ما تؤمر به، ولا تدري ما قلت لها، والذي يؤتى به إلى بلاد الإسلام، ولا يعرف إلا ما يقال له، والكبير الفاني، والصبي الصغير..

فظهر: أنه لا خصوصية للكبير الفاني، من حيث إنه يردّ في إدراكه، وفي

غير ذلك من أحواله إلى أرذل العمر.

فأما الرجل المعتدّ بنفسه، الذي يجادل ويخاصم، ويشترى ويبيع، ولا تستطيع أن تغبنه، فليس بمستضعف.

ز: وقد صرّحت رواية سفيان بن السمط عن الإمام الصادق «عليه السلام» بعدم وجود مستضعف في زمان الإمام «عليه السلام»، فإن الخلاف بين المسلمين كان ظاهراً جلياً لكل أحد، وذلك لنشاط شيعة أهل البيت «عليهم السلام» في طرح الأمور الإعتقادية والخلافية، حتى بلغت أخبار ذلك إلى ربّات الحجال في خدورهن، وحتى تحدثت به السقايات بطريق المدينة..

وبعدما تقدم نقول:

هل يسوغ القول في أيامنا هذه - بناء على هذه القاعدة التي وضعها الإمام الصادق والإمام الباقر، وسائر الأئمة «عليهم السلام»، وبينّوها، وأوضحوها بالشواهد والبراهين -: إن المستضعفين هم أكثر الناس، بحيث يكون من عداهم قلة قليلة لا تكاد تظهر، ولا تستحق أن تذكر؟!!

وهذه الحروب التي تخاض بين المختلفين في الأديان في الأمة، استناداً إلى هذا الاختلاف، وهذا الهجوم الإعلامي الشرس، بكل هذه الوسائل على شيعة أهل البيت، وتكفيرهم، واستحلال قتلهم، وسبي نسائهم، واغتنام أموالهم، قد طبق الآفاق، وانتشر ووصل إلى كل بيت، وسمع به القاضي والداني..

أفلا يكفي ذلك ليعرف الناس كلهم، أو جلهم بوجود عقائد ومذاهب وأديان متباينة ومختلفة بين الناس؟!!

ونحن لا نتكلم عن الحكومات، ولا عن أهل السنة والشيعة، بل نتكلم

عن أن جميع المسلمين، إلا ما شذَّ وندر يعرفون وجود مذاهب إسلامية، فعليهم أن يبحثوا عنها، ويتعرفوا عليها، ويأخذوا بما هو فيها.

ومعظم الشعوب الأخرى في العالم تعلم بوجود أديان متعددة، فعليهم أن يبحثوا عنها، ليصلوا إلى دين الإسلام، بعنوانه العام، وليصلوا إلى التشيع من بين سائر المذاهب الإسلامية.

وعلى كل حال، فإننا نحب الإشارة هنا أيضاً إلى ما يلي:

أولاً: ما دمنا في دائرة النصوص من الآيات والروايات، فإننا نقول:

إن من يقول: بأن قطع الكافر والمشرک، وغير المؤمن - بالمعنى الأخص - يجعله معذوراً، ولا يعاقب على كفره، أو على ضلاله، فعليه أن يبين لنا كيف يتلاءم قوله هذا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾؟! (١).

فإن المشرکین حسب قوله، إذا كانوا قاطعين بالمشرک لا يعاقبون على شركهم، ولكن الآية صريحة: بأنهم لا يغفر لهم.. الأمر الذي يفتح باب مواجهة المشرک بالعقوبة على شركه، بالرغم من قطعه به.. والكلام إنما هو في مورد القصور والعجز عن الوصول إلى الحق.

إلا أن يدَّعي هؤلاء: أن ما توصل إليه بعض الناس بعقولهم القاصرة ينسخ هذه الآية المباركة، ويلغي مضمونها.. فهل يرضى أحد أن ينسب هذا المعنى إليه؟! وألا يؤدي قبوله بهذا الأمر إلى الكفر والهلاك؟!!

(١) الآية ٤٨ من سورة النساء.

ثانياً: إن الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكافرين تعدّ بالمئات، وكذلك الآيات التي تحدثت عن المشركين والمنافقين، وأهل الكتاب، والقتلة للناس، والظالمين، ومن يحادد الله ورسوله، ومن ينكر الآخرة، وغير ذلك.. وقد توّعدهم الله تعالى بالعذاب، وبالخلود في النار^(١)، وذكر أنهم في الدرك الأسفل منها، وأمر بقتلهم، وقتلهم، كما أنه لو كان القاطع معذوراً لم يصح قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)، حيث لم يستثن القاطعين منهم بالكفر والشرك.. بل استثنى الله فقط المستضعفين القاصرين، وهم الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ يوصلهم إلى الهداية، وقد شرح لنا الأئمة «عليهم السلام» معنى هذا الإستضعاف، حسبما تقدم.

والمستضعفون بالمعاني التي بيّنها الأئمة «عليهم السلام» هم أقل القليل، بل تقدمت الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه لم يبق مستضعف في زمانه.

ثالثاً: لو كان قطع الإنسان يمنع من العقوبة الإلهية.. فذلك يعني: عدم جواز معاقبة القاتل القاطع، حتى لو كان المقتول نبياً، أو وصياً.. أو لو هدم القاطع الكعبة، أو أباد أمة بأسرها.. لا في الدنيا، ولا في الآخرة، بل تكون

(١) راجع مادة «خلد» في المعجم المفهرس.

(٢) الآيتان ٦ و ٧ من سورة البقرة. وراجع الآيات بعد الآية رقم ٢٠، ولا بأس بمراجعة مادة: «جهنم»، و «النار»، و «الخلود»، وغير ذلك في المعجم المفهرس للآيات القرآنية.

عقوبته ظلماً وعدواناً.

ولا معنى لمحاربة الباغي كعماوية، كما لا معنى لقتال النبي للمشركين.. بل لا معنى لقتال كسرى وقيصر.. ولا يجوز التصدي للمعتدين والغزاة، والبغاة على الإمام، والظالمين، إذا كان يحتمل أن يكونوا قاطعين بصوابية أفعالهم، كما لا يجوز التصدي للساعين لهدم الإسلام، وطمس الحق، لأنهم يفعلون ما هو سائغ لهم..

بل لا بد من البحث عن القاطع في الجيش الغازي، وتمييزه عن غيره، وتحاشي الإساءة إليه، ولو بكلمة، وتكون الحرب ضد الجاحدين، والمقصرين دون سواهم، وهم أقلّ القليل في ذلك الجمع..

والقول: بأن القاطع المعذور مقيّد بعدم كونه محارباً، ولا ساعياً في هدم الإسلام غير مقبول، إذ لا دليل على هذا التقييد، ولا شاهد.. وهو يسقط مقولة: أن القطع في نفسه، ومن حيث هو قطع يقتضي المعذورية..

ولنا أن نسأل أيضاً: لماذا لا يعذر أيضاً القاطع بوجوب اللواط، ونكاح الأمهات، ومن يقطع بوجوب قتل من يتبرك بزيارة قبور الأولياء، لقطعه بشركهم، وخروجهم من الإسلام.. وإنما يقتلهم حفاظاً على الإسلام بنظره؟! ولماذا يُقتل من قتل نفساً لأجل مال، أو لعداوة شخصية، إذا كان قاطعاً بلزوم قتله، ولم يكن محارباً للإسلام؟! ولماذا يعذب بالنار في الآخرة؟! ولماذا جرّت الباء هناك، ولم تجرّ هنا، وفي كل مكان.. لكي يشمل هذا القطع المقيّد بقيود لا تعد ولا تحصى جميع الموارد؟!

فلماذا جرّت الباء هناك، ولم تجرّ هنا، وفي كل مكان.. لكي يشمل هذا القطع المقيّد بقيود لا تعد ولا تحصى جميع الموارد؟!

رابعاً: بل إذا كان القطع موجباً لسقوط العقوبة في الدنيا، وللمعذورية عند الله.. فلا معنى للتفريق بين القاصر والمقصر، فإن المقصر بعد حصول القطع له قد أصبح عصياً على المؤاخذه والعقوبة في الدنيا والآخرة على حد سواء، ولو جاز تعذيب المقصر لم يكن القطع مانعاً من العقوبة، وهذا نقض للدعوى.

خامساً: إن دعوى: أن معظم اليهود والنصارى وغيرهم، وسائر أهل الملل والنحل، حتى من اختار الشرك، لا يعذبهم الله لكونهم قاطعين، بأحقية ما هم عليه لا يمكن قبولها.. لأن الله تعالى يقول عن هؤلاء: إنهم لا قطع لديهم، وإن ادَّعوا ذلك..

فقد قال تعالى عن المشركين: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (١).

وقال تعالى عن المشركين أيضاً: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى عن الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ

(١) الآية ٣٦ من سورة يونس.

(٢) الآية ٢٣ من سورة النجم.

(٣) الآية ٦٦ من سورة يونس.

عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ (٤).

فمفاد هذه الآيات: أن اليقين الذي يُدعى لأصحاب المعتقدات الباطلة، لأن منشأ مقدمات ظنية، أو حدسيات، وتقليد للأباء والأجداد، وتسليم بلا موجب لقول هذا أو ذاك، أو اعتماداً على أمور لا توجب ظناً ولا قطعاً، أو لاستقراءات ناقصة، وحدسيات باطلة، أو غير ذلك..

وكان لا بد لهذا القطع من أن يتزعزع أمام الحجة القاطعة.. - نعم، من أجل ذلك كله - اعتبر الله أنه لا قيمة لهذا القطع، بل القيمة لخصوص القطع المستند إلى الحجة الواضحة، والأدلة القاطعة..

ولذلك وصف يقين هؤلاء: بأنه ظن، أو تخرص، أو ما لهم به من علم.. وإن ادَّعوا أنهم قاطعون وعالمون..

(١) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١١٦ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

(٤) الآية ٣٢ من سورة الجاثية.

والآية التي ذكرناها أولاً - قد صرحت بأننا نتحدث عن الأكثر، إنما قيّدت بذلك لإخراج القاصرين، الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، لا المقصرين، فإن المقصرين لا يعذرون مطلقاً، ومن عرف الخلاف، فليس بمستضعف.

وذمّ الله تعالى الكثير لهؤلاء يشهد: بأن القاطع ليس معذوراً في جميع ما قطع به.. بل يعاقب عليه، ولا سيما إذا كان ناشئاً من المقدمات التي ذكرنا نموذجاً منها..

وقد ورد النهي عن تعاطي بعض الأمور التي قد يتكون منها بعض القطوعات.. كأموال السحر، والإعتماد على الحساب في تعيين أوائل الشهور، وغير ذلك.. فكيف يقال: إن أكثر الناس قاطعون بمعتقداتهم؟!

ولو سلمنا بهذا القول، فلماذا يدعى أن كل قطع يوجب المعذورية في الفعل؟!

سادساً: إن الزعم: بأن معظم الناس قاطعون، إذا انضم إلى قولهم: إن القاطع لا يستجيب للأمر أو النهي للزوم التناقض، يؤدي إلى جعل الدعوة إلى الحق وبعثة الأنبياء إليهم عملاً عبثياً، فلا يبقى معنى لدعوة أهل الجاهلية للإيمان والإسلام، وقد جلّ ربنا وعز عن أن يعمل ما فيه عبث وسفه وجهل.

ولا يبقى لقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾^(١). أي قيمة، لأن هذه الدعوة ستكون كالضرب في حديد بارد، أي بلا أثر ولا فائدة..

ولا تكون لله الحجة البالغة، لأن الحجة تفقد معناها، لعدم إمكان تحققها،

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

فيمن لا يبصر ولا يسمع، ولا يعقل..

كما لا معنى لقوله تعالى: ﴿لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١).
وإذا كان القطع يقطع الطريق أمام الحجة، فما فائدة قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾؟! (٢)..
وهذا يجعلنا نفهم: أن الحجة تزيل ما يُدعى أنه قطع..

وهذا هو ما نريد أن نصل إليه، فإن القطع إذا كان يمنع من الردع عن فعل المقطوع به، فإنه لا يمنع العقل عن التمييز والإدراك لمضمون الحجة، والتفاعل معها، والإنصياح لها.. لتكون النتيجة هي: زوال القطع، أو تحويله إلى ظن، أو شك.. وحينئذ يبدأ الصراع بين العقل وبين الأهواء والمصالح، والشهوات، والعصبيات، وما إلى ذلك.. فإذا غلب العقل اختار الهدى، وإذا غلب الهوى اختار الجحود، أو العناد.

وبعبارة أخرى:

إن القاطع، وإن كان يحسب أنه يرى الواقع، وعليه أن يأتي به، لكن إذا علم بوجود من يخطئه في زعمه هذا، ويقول له: راجع حساباتك، فهناك أدلة تثبت خطأك، فليس له أن يقول: إن قطعه يمنعه من إعادة النظر، ومراجعة الأدلة، والإصغاء للحجج، ولو فعل ذلك لم يأمن من أن يكون مفترطاً ومضيقاً لما يحكم عقله بلزوم حفظه.. فإن قطعه لا يمنع من أن يكون عالماً على سبيل الإجمال: بأنه قد جهل بعض الحجج، أو قصر في مقدمات تحصيل هذا القطع.

(١) الآية ١٦٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

ولأجل ذلك.. يجب عقلاً على كل مكلف تحصيل اليقين من الأدلة في الأمور الاعتقادية التي يطلب فيها إحراز الواقع على كل حال، ولا يكتفى فيها بالظن، كما دلت عليه الآيات القرآنية المتقدمة، ولا يجوز التقليد فيها، وإنما التقليد يكون فيما هو توقيفي، أو فيما لا يطلب العلم به على كل حال، كما في التفاصيل، والدقائق البعيدة عن متناول الأيدي.

سابعاً: إذا لم تجز محاربة الكافرين والباغين، والمعتدين، والظالمين، فيجب الحكم بسقوط فريضة الدفاع عن النفس، وفريضة الجهاد، وأن يسقط نظام العقوبات الإسلامي كله، لعدم وجود مورد يسوّغ ممارسته، لأن احتمال أن يكون الطرف الآخر قاطعاً بصحة ما هو عليه، وما يعتقده قائم، فيمنع من عقوبته، وجهاده، ويمنع من دفعه عن عدوانه وظلمه أيضاً.. ومن يفعل ذلك يكون هو المجرم المستحق للعقاب، ويجب - والعياذ بالله - أن يحاسب الله تعالى نبيه ووصيه، ويعاقبهما في الآخرة على أقل تقدير.

بل إذا كان الله تعالى هو الذي أمر النبي والوصي بذلك، لم يجز له أن يعاقبه أو يحاسبه، لأنه سبحانه شريك له في ذلك، فإنه هو الذي أمره به.. وكيف يأمر الله ويفعل ذلك رسول الله وأوصياؤه بما هو ظلم، أو بلا جدوى؟! وكيف نفسر حروبهم التي خاضوها، وعقوباتهم التي أجروها على الناس، الذين يحتمل أن يكونوا قاطعين بحليتها بحسب مذاهبهم ومعتقداتهم؟!

ثامناً: بل يجب أن يكون قتل الأنبياء والأوصياء من موجبات دخول الجنة للمشركين والكافرين، والباغاة، والمعتدين، إذا كان القاتل قاطعاً بأن ذلك يجب عليه في دينه، ويتقرب به إلى ربه، فابن ملجم يدخل الجنة، والذي

دَسَّ السم للنبي يدخل الجنة، وكذلك الذين كانوا يقتلون الأنبياء من بني إسرائيل، والذين قتلوا الأوصياء والأئمة الطاهرين «عليهم السلام»، ولا تجوز معاقبتهم إذا احتمل أن يكونوا قاطعين بجواز ذلك في أديانهم..

تاسعاً: إذا كان الغالب في أصحاب الأديان والنحل والمذاهب أنهم قاطعون ومعذورون، وهم يعبدون الله، ولا سيما إذا اعتزلوا في صومعة لعبادة ربهم الذي يدعون أنه ثالث ثلاثة، أو لعبادة صنمهم الذي يرون أنه يقربهم إلى الله زلفى، فلا يبقى معنى لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٣).

أو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤).

عاشراً: إذا كان هؤلاء يُعذرون، وينجون من العذاب بسبب قطعهم، ولا يضرهم كفرهم، ولا يحاسبون على ما يفعلونه بسبب قطعهم، فلماذا لا يبيحهم الله على قطعهم هذا الذي يعذرون فيه، فلا يفرض عليهم تكاليف كثيرة فيها جهد وتعب، وصوم وصلاة وحج، وفيها عقوبات على المخالفات،

(١) الآية ١٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٨٥ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٣٢ من سورة يونس.

(٤) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

أو على التقصيرات؟! فقد كان قطعهم يكفيهم لتجنب دخول النار.. فإنه قطع خفيف نظيف، ليس فيه تعب ولا نصب، ولا جهد.. فإذا تكرر عليهم وأدخلهم الجنة به أيضاً، فهو نور على نور، يستحق الشكر والسرور.

ولنفترض: أن هذا التكليف المجهد له ثمرات كبرى يريد الله تعالى لهم أن يحصلوا عليها.. وهذا أمر حسن وراجح في نفسه، ولكن الرجحان شيء، والعقوبة على مخالفة الراجح شيء آخر، فإن الرجحان إنما يقتضي جعل المرء بالخيار في أن يختار هو الإستزادة من الخير، أو الإقتصار على تجنب العقوبة بواسطة قطعه، فإذا اختار الإقتصار يكون قد ضيّع الخير الكثير، وحرّم نفسه.. وهذا التضییع، وإن كان مرجوحاً، ولكن لا ينبغي جعل العقوبة عليه، من خلال الإلزامات، وإنزال العقوبات في الدنيا، والخلود في أشد أنواع العذاب في الآخرة.

حادي عشر: لو كان القطع يبرر الأعمال، ويمنع من العتاب والعقاب، وكان معظم الناس إلا ما قلّ معذورين بقطعهم، ولا يؤثر الأمر ولا النهي لهم عن فعل ما قطعوا به.. فإن أصل وجود دين الإسلام ونزول القرآن يصير بلا معنى، والعمومات القرآنية والنبوية، والإمامية تصير مستهجنة للزوم تخصيص الأكثر، فإن معظم الكفار والمنافقين والعصاة يخرجون عن دائرة القصد في الآيات والروايات، ويبقى أفراد قليلون.. فمثلاً في قوله «صلی الله عليه وآله» عن الخوارج: «كلاب أهل النار».. يخرج غالب الخوارج، وقد لا يبقى تحت العموم إلا أفراد قليلون، بل قد لا يبقى أحد.. وهذا لا يصدر عن جاهل، فكيف ينسب نظيره إلى الله العليم الحكيم، وإلى النبي الكريم في موارد لا يمكن إحصاؤها؟!

وهذا يعطي: أن القطع بما هو قطع لا عبرة به، بل العبرة بالحجة الإلهية التامة، والإختيار للعباد، بغض النظر عن النتائج.

ثاني عشر: إن هذا القطع المدَّعى يصبح دليلاً على كذب الأنبياء - والعياذ بالله -، ومبطلاً للرسالات والأحكام، لأن أكثر الناس قاطعون، والباقي، إما قاصرون، فهم معذرون أيضاً، أو مقصرون، أو جاحدون معاندون.. وهؤلاء فقط هم نصيب جهنم.. وهم أقلُّ القليل.

وإذا كان هؤلاء هم الذين يحاسبهم الله بأعمالهم، فلا حاجة إلى كل هذا الصخب واللبج، والقتل والقتال، وسقوط الشهداء، وإشغال الأمم والأجيال بما لا فائدة منه ولا عائدة.

فلا عبرة بالقطع.. بل العبرة بالحجة الإلهية التامة، والإختيار للعباد، بغض النظر عن النتائج.

ثالث عشر: هناك أمور يستحيل حصول اليقين بنفيها، فالإصرار على النفي هو تعمد للباطل، وعناد، وهي الأمور المرتبطة بالغيب المطلق، الذي لا يملك الإنسان حيلة أو وسيلة في الوصول إليه، والإطلاع عليه، فكيف يمكنه نفي وجوده؟! هذا في جانب النفي، لكن جانب الإثبات يمكن إثباته من خلال المعجزات، والآثار المرتبطة بذلك الأمر الغيبي، والأدلة العقلية وسواها، كوجود الله ووجود العقاب، والعدل الإلهي، أو من خلال من أثبتت المعجزة معرفتهم بالغيب، كالأنبياء فيما هو توقيفي، كوجود الآخرة، ووجود جنة ونار، وحوار عين، ووجود جن وملائكة، ونعيم وعذاب، وحساب القبر، والنبوة، وما إلى ذلك.. فكيف ينفي النافي لأمثال هذه الأمور، ولم يطلع على الغيب؟!!

وعليه، فإنه إذا علم أحد بتعدد الأديان، ثم بتعدد الفرق في الدين، فليس بمستضعف، وعليه أن يبحث عن الحق، فإن عجز عن الوصول، فهو معذور. ونحن لا نتحدث عن الغيوب بما هي غيوب، وإنما عن إثباتها بعد العلم بوجودها، والبشر كلهم يدركون وجود أمور لا يعرفونها، فإذا جاءت المعجزات وأثبتتها لهم، فعليهم أن يخضعوا لها.. فإنَّ علَمَ الناس بوجود غيوب بعيدة عن متناول أيديهم لا يحتاج إلى لقاء نبي، ولا وصي. كما أن أحداً لا يمكنه إثبات جدوى عبادة الأصنام والأشخاص، وسائر الترهات والأباطيل، وما إلى ذلك..

رابع عشر: بالإضافة إلى ما تقدم نقول:

إن أكثر الناس غافلون، ومنصرفون عن التدبّر في الأمور، ولكنهم يتوهمون أنهم قاطعون.

وهذه الغفلة تجعلهم قاصرين، ما دامت موجودة، وهي ترتفع بأحد أمرين:

- إما سؤالهم عن دليلهم.. فيعود المسؤول إلى نفسه، وعقله، ووجدانه، وذاكرته.. فلا يجد جواباً مقنعاً على هذا السؤال.. وبذلك يزول هذا القطع الموهوم، وهو الغفلة.

- وإما لفت نظر الغافل إلى وجود الاختلاف بين الناس، فلعل الحق مع غيره.

ومن الطريف هنا: أن المدّعين نجاة كل قاطع قد خلطوا بين هذين الأمرين اللذين هما: القطع، والغفلة.

خامس عشر: بقي أن نشير إلى أن السؤال قد تضمن أموراً عديدة أخرى تحتاج إلى بيان، فلاحظ ما يلي:

ألف: إن التلقين والتربية قد يوجد غفلة وسكوناً إلى ما يغفل عنه.. ويسمى هذا السكون يقيناً واطميناناً، ولكنه يقين ضعيف وهش، ويزول.. بمجرد لفت النظر إلى وجود اختلاف بين الناس في ما هو غافل فيه، أو ساكن له. كما أنه يزول بمجرد سؤال الغافل عن مستند قطعه، وبزوال الغفلة، أو هذا القطع المتهالك تزول المعذورية.. نعم، هو معذور في مدة بحثه، شرط عدم التهاون والتسويق.

ب: إن الحكم بوجود القطع لدى أكثر الناس لا ينسجم مع ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» حول عدم وجود مستضعف في زمانه، فعدم وجوده في زماننا يكون بطريق أولى، فإن معظم الناس، إلا ما شذَّ وندر يدركون وجود الاختلاف في الأديان والمذاهب، فيجب عليهم مراجعة حساباتهم، ومن لم يدرك ذلك، أو عجز عن الوصول إليه، فهو معذور..

والكلام إنما في دعواهم: أن أكثر الناس معذورون بقطعهم.. ونحن لا ندعي - في المقابل - أن جميع الناس غير معذورين، فليلاحظ ذلك.

كما أن الحكم بوجود القطع عند معظم الناس لا ينسجم مع سائر الروايات التي فسرت المستضعف، ولا مع سائر النصوص القرآنية التي اعتبرت ما يسمونه قطعاً أنه ظن وتخرص، ولا مع العمومات القرآنية، النبوية، التي يلزم منها تخصيص الأكثر، ولا مع سائر ما تقدم.

ج: إن ما ذكر من عدم انقداح خلاف ما هم عليه من المذاهب ليس

المراد به عدم إمكان الإقتران بتلك المذاهب، بل المراد به عدم خطور ذلك في باله، فلا يحصل لديه دافع للتأمل به.. فإذا علم القاطع بوجود رأي يخالفه، والتفت إلى احتمال مخالفته لما هو عليه، وجب عليه - بحكم العقل - أن ينظر فيه، وفي أدلته ليحصل على الأمن، ولا يكون مفراطاً.

د: إن ما ورد في السؤال، من أن علماء الأديان والمذاهب الباطلة، بسبب التلقينات من زمن الطفولة، والنشوء في بيئة الكفر، يردّون كل ما ورد على خلاف عقائدهم بعقولهم المجبولة على خلاف الحق..

فقد يلاحظ عليه: أنه ينتهي إلى القول بالجبرية للعقل في تكوين أحكامه، وفي إدراكاته، مع أن العقل لا جبر فيه، ولا قهر.. لأنهم لو كانوا مقهورين في عقولهم لم تصح عقوبتهم على أي حال..

إلا أننا نظن أن المراد: أن هذا اليقين الناشئ عن البيئة والنشأة لا ينافي الاختيار، ولأجل ذلك ورد النهي عن عمل القطّاع بما قطع به، ونهي الحاسد عن حسده، والجبان عن جبنه، والبخيل عن بخله.. وأمر هؤلاء بتغيير هذه الحالات واقتلاعها من نفوسهم، ومنعهم من فعل ما ينشأ عنها، وعاقبهم عليها، وما إلى ذلك..

كما أن بعض الأمور تؤثر تكويناً في الشخص، كالولادة من الزنا، أو من الحلال، ولكن لأنها لا تنافي اختيار الإنسان، فإن الله تعالى لم يجعلها من موجبات التخفيف في العقوبة على المخالفات، حتى لو انتهت بصاحبها إلى القطع الذي دعا إلى المخالفة.. وذلك لما ذكرناه، من أن القطع لا يمنع من التفكير والتأمل في الحجة، حسبما أوضحناه أكثر من مرة.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

١٣ شهر رجب ١٤٣٩ هـ - ق. آخر شهر آذار ٢٠١٨ م ش.

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً) جبل عامل - لبنان

جعفر مرتضى العاملي

فائدة خلق السماوات

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

لدي سؤال عن سبب خلق السماوات.. والتي هي بالنسبة إلينا في غاية الإبهام والغموض، ولا نعرف نهاياتها، ولا حدودها، ولا ما فيها، ولا نستطيع أن نصل إلى شيء من ذلك، إلا ما هو يسير وحقير، فلماذا خلقها الله؟! ألم يكن بالإمكان الاستغناء عنها، إذا كنا لا نستفيد منها؟! أفيدونا مأجورين..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم أيها الأخ الكريم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فيرجى ملاحظة النقاط التالية:

١ - قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(١).

(١) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء.

وليست الحكمة، أو العلة من الخلق، تكون دائماً هي الاستفادة والإنتفاع المباشر للأشخاص، أينما كانوا، وحيثما وجدوا.. فهناك حكم وعلل، وأسباب أخرى لا يجوز تجاهلها، أو إهمالها.

٢ - إن هذا الكون بما فيه من عجائب وغرائب، وعظمة، وبها فيه من بديع صنع، وروائع حكمة، وما أودع فيه من أسرار يظهر قدرة خالقه وحكمته، وبدائع تدبيره، دليل على عظمة خالقه، وقدرته، وعلمه، وتدبيره، ويبطل كل ما يحاول القاصرون، والعاجزون والمبطلون أن يدَّعوه لأنفسهم، أو ينتحلوه، أو يدَّعوه لآلهتهم التافهة، والعاجزة، والمهينة، والتي لا تملك لنفسها، ولا لغيرها نفعاً، ولا ضرراً..

٣ - إن من يعيشون في الكون قسمان:

القسم الأول: هم البشر، والجن، والملائكة، وهؤلاء جميعاً موجودات عاقلة ومختارة، ولها تكاليف، ولها مثوبات وعقوبات، فليس البشر وحدهم هم الذين يعيشون في هذا الكون، بل هناك أنواع أخرى تعيش فيه، ونخصّ بالذكر نوعين آخرين لهما الحق في الحركة النافعة فيه، وفي محاولة فهم أبعاده وأسراره ومدخله، ومخارجه، ولديهما عقل وإرادة وإدراك، واختيار، وعليهما تكاليف بالعمل بشرايع الرسل، وهدايات الأنبياء، ولهما هداية ورعاة، وحكماء، وعقلاء، وهما: الجن والملائكة.

وربما كان هناك مخلوقات أخرى كذلك أيضاً.

وهؤلاء يشاركون الإنسان في هذا الكون، ولهم شأن في حفظه، وتدبيره، وصيانتته من الفساد، ومن المفسدين بتوظيف رباني وهداية إلهية، وبأمر منه تبارك

وتعالى، ولديهم من القدرات ما يفوق قدرات الإنسان في كثير من المجالات..
وذلك بحكم طبيعة خلقها، وحالاتها.

إن هذا الكون وكل ما فيه ملك لله تعالى، مخلوق له، وليس للإنسان،
ولا لغيره، سوى ما منحه الله إياه من التصرف المحدود بحدود، والمقيّد بقيود..
أوجب عليه مراعاتها، وهو يعاقبه على تخطئها.. وملك الإنسان في هذا الكون
اعتباري، وليس حقيقياً.

ولهذه المخلوقات حالات وسمات، ومواصفات تتناسب مع رحابة هذا
الكون، وتحتاج إلى هذه السعة الهائلة والحجم الكبير، كما تدل عليه الروايات..
فيما تذكره للملائكة من أحجام، وما يكون لكل ملك من أجنحة تعد بالألوف
أو بعشرات الألوف، ويحتاج كل جناح إلى مساحات كونية كبيرة تستوعب
حركته، وتناسب مجالات اهتمامه ومسؤولياته، وطبيعة وسائله.

فاتضح: أن البشر يحتاجون إلى الأرض، وثمة مخلوقات أخرى تحتاج
إلى السماء، ولأجل ذلك كانت وسائل الإنسان تناسب الأرض، ووسائل
الجن تناسب الأرض والسماء، ووسائل الملائكة تناسب السماء، ولها إطلالة
على الأرض.

والملائكة تعرف الكثير مما يجهله أكثر الجن والبشر.. باستثناء الأنبياء
والأئمة الطاهرين.

والجن والملائكة مخلوقات عاقلة، ومختارة، ورسالات الأنبياء التي للبشر
هي رسالات لها، وفق ما يتناسب مع أحوالها، وواقع خلقتها..

ولها بعد ذلك ثمرات جهدها وعليها وزر تقصيرها، وتحمل عواقب

سوء اختياراتها، وعصيانها، وإفسادها، وقد كان إبليس من الجن لكنه تظاهر بعبادة الله مع الملائكة ستة آلاف سنة، لا يُعلم إن كانت من سني الدنيا، أو من سني الآخرة^(١).

وحين عرج جبرائيل بالنبي «صلى الله عليه وآله» إلى السماوات العلى، بلغ به موضعاً لا يمكنه تجاوزه، فانفرد عنه النبي، وتقدم بنفسه «صلى الله عليه وآله».

القسم الثاني: ما يعبده الناس جماداً، فاقداً للمشاعر، والأحاسيس، والإدراك، والإختيار، وليس لديه تكاليف، ولا يعاقب ولا يثاب، كالشجر والنبات، والماء والهواء، والكواكب والنجوم، والجبال والأرض، والسماوات، وكل ما خلقه الله تعالى من أفلاك وأكوان، وحتى العرش والكرسي، والبرق والرعد، وما إلى ذلك.

ولكن الحقيقة هي غير ذلك.. فإنها كلها تملك درجة من الإختيار والإرادة، والإدراك، وعليها واجبات ومسؤوليات، وتمارس مع الله تعالى فنوناً من العبادات.

ويشهد لذلك ما لا يحصى كثرة من الآيات والروايات..

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٢).

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ١٣٩ وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ج ٤ ص ٢٤١ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ٤٦٥ وج ٦٠ ص ٢١٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ١٣١.

(٢) الآية ٦ من سورة الرحمن.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٦).

وآيات كثيرة أخرى.

ويلاحظ: أن التسبيح بالحمد، إنما يكون بتعداد نعمه تعالى المختلفة، التي تثبت علمه، وكرمه، وقدرته، وحكمته، وتدبيره، واختياره، وغناه، وغير ذلك من صفات، وثبوت هذه الصفات.. ينزهه تعالى عن الجهل، والعجز،

(١) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٢١ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ١٨ من سورة ص.

(٥) الآية ٦ من سورة الرحمن.

(٦) الآية ٤١ من سورة فصلت.

والبخل والفقر، وغير ذلك..

والحمد هو ذكر ما يحمد عليه، ليتحقق التنزيه عن النقائص المقابلة..
فجميع المخلوقات، بل جميع الأشياء تفعل التسبيح، ولكننا لا نفهمه، ولا نفقهه.

ويلاحظ أيضاً: أنه قال: ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١)، فأرجع الضمير - وهو كلمة «هم» التي تستعمل للعاقل إلى هذه الأشياء كلها - ليدل على تلك الأشياء، ولم يقل: «تسبيحها» التي تستعمل لغير العاقل، ليؤكد أن جميع الأشياء لديها درجة من العقل والإدراك، كما قلنا.

٤ - ويتحدث القرآن عن أن لبعض هذه المخلوقات - غير العاقلة بنظر الناس - وظائف ومهمات، ولها تصرفات وأحوال لم يكن أحد يحسب أنها لها، فنذكر على سبيل المثال:

أن سليمان «عليه السلام» قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾^(٢).
وقال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

(١) الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ١٦ من سورة النمل.

(٣) الآيات ١٧ - ١٩ من سورة النمل.

إذن، فالجنّ والطير من جنود سليمان، فإن كان يريد بهم جنود الحرب والقتال، فمن المفترض أن يكون جنوده من جوارح الطير، وإن كان يريد بهم جنوده الذين يساعدونه في قضاء الحاجات، وإنجاز بعض المهمات، فيمكن أن يشارك في هذا الأمر جميع أنواع الطير..

أما سماع سليمان ما قالته النملة، فهو أعجب وأغرب، إذ إن وادي النمل يفترض أن يكون خاصاً بالنمل، الذي يعدّ فيه بالمليارات. فإن سماع سليمان قول نملة منها عجيب، وتميز صوتها من بين أصوات الملايين أصعب، وأعجب، وأغرب.. وأن تعرف النملة أن هذا سليمان، وهؤلاء جنوده، وأن على النمل أن يحترسوا من الخطر الذي يلهم بهم أولى بالغرابة، وأدعى للدهشة. وقد صرحت الآية الأخرى: بأنه «عليه السلام» كان قد علّم منطق الطير، ويدل عليه حديثه مع الهدهد، فالتعليم إنما هو من الله تعالى، وإنما فرضته الحاجة إليه في رعاية شؤون هذه المخلوقات، وهدايتها إلى ما فيه صلاح وفلاح، وحفظ لها من الأسواء.

بل إن الهدهد كان سبباً في فتح مملكة سبأ بأسرها، فقد قال تعالى: ﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

* اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾.

وقد ذكرنا في كتابنا: «حقوق الحيوان في الإسلام» أموراً نذكرها، ونضيف إليها بعض ما لم نذكره، وهو كما يلي:

إن قصة الهدهد تدل في جملة ما تدل عليه:

على أن التكليف يتوجه للطير.

وأنه يصدق ويكذب.

ويطيع، ويعصي.

ويعاقب على المخالفة.

وهو يستدل ويحتج.

كما أنها تدل على:

أنه يفكر وينتقل بفكره من المجهول إلى المعلوم.

ويعرف أنواع العبادات.

ويميز بين صحيحها وفاسدها.

ويكتشف مملكة كبيرة.

ويميز بين الملك والرعية.

ويعرف حجم وعظمة وأهمية ما اكتشفه وعرفه.

ويعرف العرش، ويقايس بينه وبين غيره.
 ويعرف الشمس، ويعرف الله.
 ويعرف أن أولئك الناس يعبدون الشمس من دون الله.
 ويعرف بطلان ما هم عليه.
 ويعرف السماء والأرض.
 ويعرف أن الله تعالى يخرج الخبء منهما.
 ويحمل الرسائل من مملكة إلى مملكة.
 والهدهد كان يراقب ويستمع أقوال أولئك القوم. ويرجع إلى سليمان
 ليخبره بما رأى وسمع.
 ٥ - كما أن الحيوانات تحشر يوم القيامة، كما تحشر الإنس والجن.
 فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(١).
 وفي الروايات: أن الله تعالى يقتص للجماة من القرناء^(٢).
 كما أنها تجازى في الدنيا أيضاً، وتناولها عواقب أفعالها، فقد روي عن الإمام
 الصادق «عليه السلام»: «ما يصاد من الطير إلا ما ضيع التسبيح»^(٣).
 وروي: أن الديك الأبيض يعرف أوقات الصلاة^(٤).

(١) الآية ٥ من سورة التكوير.

(٢) راجع حقوق الحيوان ص ١٣.

(٣) راجع حقوق الحيوان ص ١٩.

(٤) راجع حقوق الحيوان ص ٩.

وهو غيور، ويستحي، وشجاع.

وورد: أن البهائم تعرف الرب، وتعرف الموت، وتعرف الأنثى والذكر، وتعرف المرعى الخصب^(١).

وعن الإمام الكاظم «عليه السلام»: «ما من دابة يريد صاحبها أن يركبها إلا قالت: اللهم اجعله بي رحيماً»^(٢).

وقد ورد النهي عن البول في الماء الراكد، فإن للماء أهلاً^(٣)، وعن دخول الماء عارياً، لأن للماء سكاناً^(٤).

وهذا يدل على أن على الإنسان أن لا يחדش شعورها بتعريضه بمحضرها. والحجارة أيضاً لها مكانتها وقداستها، واحترامها، إن كانت تراعي طاعة الله سبحانه، فالعقيق مثلاً له مكانته وقيمته عند الله، وقد ورد في الحديث: أنه لم تُرفع كفّ إلى الله تعالى أحبّ إليه من كفّ فيها عقيق^(٥).

ولعل سبب ذلك: قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنه أول حجر شهد لله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولولديه بالإمامة، ولشيئته بالجنة^(٦).

(١) راجع حقوق الحيوان ص ١٣.

(٢) راجع حقوق الحيوان ص ٢٠.

(٣) راجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج ١ ص ٣٤١ و (الإسلامية) ج ١ ص ٢٤٠.

(٤) راجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣٤٠.

(٥) ثواب الأعمال ص ١٧٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٥ ص ٨٧ و ج ٧ ص ١٤٤

و (الإسلامية) ج ٣ ص ٤٠٠ و ج ٤ ص ١١٧٤.

(٦) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ١ ص ٥٥٥ وهداية الأمة للحر العاملي ج ٢

وقد يكون الحجر مقدساً ويضر وينفع الإنسان في الآخرة، كالحجر الأسود. فإن الله تعالى قد أودعه موثيق الخلائق.

فقد روي: أن عمر بن الخطاب حج، فاستلم الحجر وقبله، وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك. فقال علي «عليه السلام»: بل هو يضر وينفع. فقال: وكيف؟!!

قال: إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب الله عليهم كتاباً، ثم ألقمه هذا الحجر، فهو يشهد للمؤمن بالوفاء، ويشهد على الكافر بالجحود^(١). كما أن الأماكن التي يصلي فيها الإنسان تشهد لذلك المصلي يوم القيامة. وهناك أماكن يستجاب فيها الدعاء، كالدعاء تحت قبة الإمام الحسين «عليه السلام».

وهناك أماكن تكون الصلاة فيها تعدل ألف صلاة كبيت المقدس. أو أربعة آلاف صلاة كمسجد الكوفة. وهناك أماكن يقل ثواب الصلاة فيها، كالصلاة في أعطان الأبل، أو في الحمام.

ص ١٣٨ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٤٢١.

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٨٥ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٢٩ وقوت القلوب ج ٢ ص ٢٠١ وإحياء علوم الدين ج ٣ ص ٤٤٣. وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢٠٨ والغدير (ط ٢) ج ٦ ص ١٠٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٢١٧ والمحجة البيضاء ج ٢ ص ١٥٥.

الهداية والرعاية:

وهذه المخلوقات كلها لها دورها، ومهامها في إعمار الكون، وهي تحتاج إلى أنواع كثيرة من الهداية والرعاية، ولا يعرفها حق معرفتها إلا خالق الكون، والعارف بكل ما فيه من أسرار، وأحوال، وأطوار، وما يكون بين عناصره ومكوناته، وما فيه من تفاعلات وتأثيرات وآثار.. وما جعل لهم من هدايات مختلفة: تكوينية، وفطرية، وإدراكية، وعقلية، وإلهامية، وتربوية، وعملية، وتعليمية.. وأرسل لهم الأنبياء، وكان لهم أوصياء، أرسلهم لكل ما خلقه تعالى، ومن بعدهم العلماء والحكماء، ليرعوا شؤون ذلك كله.

وزود أنبياءه وأوصياءهم بقدرات وإمكانات تناسب وظائفهم هذه، لإيصال المخلوقات إلى غاياتها، وتحقيق الأهداف الإلهية في كل حالاتها.

ومن شواهد وجود هذه الإمكانيات التي زود الله تعالى أنبياءه وأوصياءهم بها، حديث معراج نبينا «صلى الله عليه وآله» إلى السماوات العلى، حتى بلغ سدرة المنتهى، ولم يقتصر أمر المعراج على رسول الله، بل عرج أيضاً بأوصيائه من بعده، لأن ثمة حاجة إلى هذا المعراج.. وهو من شؤون النبوة والإمامة التي تقتضي الهداية والرعاية، والتربية للمخلوقات التي يحمل النبي والإمام مسؤولية رعايتها وهدايتها، والإشراف على شؤونها، وتصويب مسارها.

وليس من المصادفة: أن يكون الإنسان الأول، وهو آدم «عليه السلام» نبياً جامعاً لصفات الفضل والكمال، ولم يكن إنساناً عادياً، ولا جاهلاً، بل كان النموذج الذي أراد الله للبشر أن يتمثلوه، وأن يكون قدوتهم، وهاديمهم، وراعيهم، وأن يكونوا على شاكلته في مضمونه الإنساني والإيماني، المستند إلى

العلم، والذي يتعامل مع الحقائق على ما هي عليه.

وليس صدفة أيضاً: أن يكون ثمة هيمنة وإدارة مباشرة لشؤون كونية من قبل قوى عاقلة مسؤولة ومكلفة، وخاضعة للإرادة الإلهية، ومؤمنة، تخضع للحساب، ولثواب والعقاب، وهم الملائكة المقربون.. فهناك ملك موكل بالسحاب، وملك موكل بالهواء، وملك موكل بالمطر.. وهناك ملك موكل بقبض الأرواح، بل هناك ملائكة موكلون بالحيات، يحوشونها ليعدوها عن الناس ويوتهم.

وليس من المصادفة أن يكون التسليم لمحمد وأهل بيته «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، والإرتباط بهم هو المعيار في السلامة، والنجاة، والاستقامة، ويكون البعد عنهم موجباً للهلاك والبوار لجميع المخلوقات، حتى الشجر والحجر، والهواء والماء، والبقاع، والبهائم، وكل شيء..

وفي بعض الروايات: أن الناس مسؤولون عن البقاع والبهائم^(١). وعن الحسن البصري: أن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار^(٢).

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٨٠ (خطبة ١٦٧) وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٩ و ٤١ وج ٦٥ ص ٢٩٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٢٨٨ ونور الثقلين (تفسير) ج ٤ ص ٤٠٢ والميزان (تفسير) ج ١٧ ص ١٤٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٧٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ٢١٠ والبداء والتاريخ ج ٣ ص ١٠٠ وكشف الخفاء ج ١ ص ٤٩ والإصابة ج ٢ ص ٢٥١ والمتنظم في تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٣٦١ وتفسير الخازن ج ٤ ص ٢٦ ومدارك التنزيل (تفسير النسفي) ج ٤ ص ٢٧ وتفسير الآلوسي ج ٢٣ ص ١٣٩ وراجع: تفسير السمعاني ج ٤ ص ٤١٢ ومعالم التنزيل

وفي نص آخر: أن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالجبال^(١).
وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله»: «..أبصر ناقة معقولة، وعليها
جهازها، فقال: أين صاحبها؟! مروه فليستعد غداً للخصومة».
وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «نظفوا مرايض الغنم، وامسحوا رعامهن،
فإنهن من دواب الجنة»^(٢).
وعن أبي عبد الله «عليه السلام»: «أن امرأة عذبت في هرة، ربطتها حتى
ماتت عطشاً»^(٣).

في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ج ٤ ص ٤١ وراجع: الأنس الجليل ج ٢ ص ٢٨
(١) راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ٢٨٦ عن ابن عساكر، عن الحسن، والميزان (تفسير)
ج ١٧ ص ١٥٩.
(٢) كشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ٢٢ و ١١٣ و ١١٤ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٧
وج ٤ ص ٦٩ وبحار الأنوار ج ٦١ ص ١٥٠ والمحاسن ص ٦٤١ و ٦٤٢ والكافي
ج ٦ ص ٥٤٤ والنهاية في اللغة ج ٢ ص ٩٢ و ٩٣ و ٩٥.
(٣) بحار الأنوار ج ٦١ ص ٢٦٧ وج ٦٢ ص ٦٤ و ٦٥ وج ٧٣ ص ٣٥١ والسنن
الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٣ و ١٤ ووسائل الشيعة (ط الإسلامية) ج ٨ ص ٣٩٧
ودعائم الإسلام ج ٢ ص ١٢٦ ومسنند أحمد ج ٢ ص ١٨٨ وج ٣ ص ٣٧٤ وعن
صحيح مسلم ج ٣ ص ٣١ و سنن النسائي ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤٩ وشرح صحيح
مسلم للنووي ج ٦ ص ٢٠٧ وعن فتح الباري ج ٦ ص ٢٥٤ ومسنند الطيالسي
ص ٢٤٤ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٥٧٤ و ٥٨٠ وصحيح ابن خزيمة
ج ٢ ص ٣١٦ وصحيح ابن حبان ج ١٢ ص ٤٣٩ ومسنند أبي حنيفة ص ١٤٢
وإثبات عذاب القبر ص ٧١ وموارد الظمان ص ١٥٧ وكثر العمال ج ٧ ص ٨٢٣
و ٨٢٩ وج ٨ ص ٤٢٥ وإرواء الغليل ج ٣ ص ١٢٨.

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه قال: «من قتل عصفوراً عبثاً جاء يوم القيامة يعجب إلى الله تعالى يقول: يا رب، إنَّ هذا قتلني عبثاً، لم ينتفع بي، ولم يدعني فأكل من خشارة الأرض»^(١).

وروي عن الصادق «عليه السلام»: أن أقذر الذنوب ثلاثة: قتل البهيمة، وحبس حق المرأة، ومنع الأجير حقه^(٢).

وعن علي أمير المؤمنين «عليه السلام»: «أنه قضى فيمن قتل دابة عبثاً، أو قطع شجراً، أو أفسد زرعاً، أو هدم بيتاً، أو عورَ بئراً أو نهراً، أن يغرم قيمة ما استهلك وأفسد، ويضرب جلدات نكالا الخ..»^(٣).

وأوصى الإمام السجاد «عليه السلام» حين حضرته الوفاة ولده الإمام الباقر «عليه السلام»، فقال: «إني قد حججت على ناقتي هذه عشرين حجة،

(١) مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٣٠٤ وبحار الأنوار ج ٦١ ص ٤ وراجع: مجمع ج ٤ ص ٣٠ والآحاد والمثاني ج ٣ ص ٢١٤ والمعجم الكبير ج ٧ ص ٣١٧ وج ٢٢ ص ٢٤٥ وشعب الإيمان ج ٧ ص ٤٨٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٥ ص ٤٠ والتفسير الكبير للرازي ج ١٢ ص ٢١٣ والتاريخ الكبير للبخاري ج ٤ ص ٢٧٧ والكامل لابن عدي ج ٥ ص ٨٢ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ١١ وأسد الغابة ج ٥ ص ١١٨ والإصابة ج ٦ ص ٥٣٢.

(٢) وسائل الشيعة (ط الإسلامية) ج ٨ ص ٣٩٧ وج ١٣ ص ٢٤٨ ومستدرك الوسائل ج ١٥ ص ٧٣ ومكارم الأخلاق ص ٢٣٧ وبحار الأنوار ج ٦١ ص ٢٦٨ وج ١٠٠ ص ٢٦٩ و ٣٥١ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٥١٤.

(٣) مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٢٧٢ عن دعائم الإسلام، وسنن الدارمي ج ٢ ص ٨٣ والمصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٥٤.

فلم أقرعها بسوط قرعة، فإذا نفقت، فادفنها لا يأكل لحمها السباع، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج، إلا جعله الله من نعم الجنة، وبارك في نسله، فلما نفقت حفر لها أبو جعفر «عليه السلام» ودفنها»^(١).

عن الرضا «عليه السلام»: لا تأكلوا القبرة، ولا تسبوها، ولا تعطوها الصبيان يلعبون بها، فإنها كثيرة التسييح لله تعالى، وتسييحها: لعن الله مبغضي آل محمد.

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إذا عثرت الدابة تحت الرجل، فقال لها: تعست. تقول: تعس، وانتكس أعصانا لربه»^(٢).

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٦١ ص ٢٠٦ وراجع ص ٢٠٤ و ٢١٢ و ٢١٥ و ج ٤٦ ص ٧٠ و ٧١ و ج ٩٦ ص ٣٨٥ و ج ٤٦ ص ٧٠ والمحاسن للبرقي ج ٢ ص ٦٣٥ وروضة المتقين ج ٤ ص ٧٢ و ٢٥٨ وهداية الأمة للحر العاملي ج ٥ ص ١٣٤ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٥٥٤ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ١٨٨.

وراجع: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩١ عن الإرشاد للمفيد (ط الآخندي) ص ٢٤٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١١ ص ٥٤١ و (ط الإسلامية) ج ٨ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ عن المحاسن، ومن لا يحضره الفقيه، والإرشاد، وثواب الأعمال ص ٥٠ والخصال ص ٥١٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٣٥.

(٢) المحاسن ج ٢ ص ٦٣١ والكافي ج ٦ ص ٥٣٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١١ ص ٤٨٧ و (ط الإسلامية) ج ٨ ص ٣٥٢ و ٣٥٦ و بحار الأنوار ج ٦١ ص ١٦٩ و ٢٠٩ و التحفة السنية (مخطوط) ص ٣٤٣ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٨٦ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٦٤ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٦٣ ومراة العقول ج ٢٢ ص ٤٥٦.

وفي كامل الزيارات، باب ٣١ ذكر أربع روايات، عن أنه لما قتل الحسين «عليه السلام» خرجت البومة من العمران إلى الخراب، وآلت ألا تأوي إلا إلى الخراب، فلا تزال هي صائمة حزينة.. فإذا جنها الليل ترن وتندب الحسين «عليه السلام» إلى الصباح^(١).

وما روي، من أن البوم ممن جحد الولاية^(٢). فلعل أحد أنواع البوم فعل ذلك دون سائرها. أو أن ذلك قد حدث في زمانين مختلفين.

وفي حديث الأربع مئة^(٣) قال «صلى الله عليه وآله»: «ولا يبولن من سطح في الهواء، ولا يبولن في ماء جار، فإن فعل ذلك فأصابه شيء، فلا يلومن إلا نفسه، فإن للماء أهلاً وللهواء أهلاً..»

إلى أن قال: وإذا بال أحدكم فلا يطمحن ببوله، ولا يستقبل الريح^(٤).

(١) كامل الزيارات ص ١٩٩ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢١٣ وج ٦١ ص ٣٢٩ ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٤٤٢ ومدينة المعاجز ج ٤ ص ١٨١ والعوالم، الإمام الحسين ص ٤٩٢.

وراجع: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٩١ عن الإرشاد للمفيد (ط الآخندي) ص ٢٤٠ ووسائل الشيعة (ط الإسلامية) ج ٨ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ عن المحاسن، ومن لا يحضره الفقيه، والإرشاد، وثواب الأعمال ص ٥٠ والخصال ص ٥١٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٣٥.

(٢) راجع مستدرک سفينة البحار ج ١٠ مادة (ولي) وراجع ج ١ ص ٤٤٢.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٩١ و ٩٢.

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ١ ص ٣٥٣ و (الإسلامية) ج ١ ص ٢٤٩ والخصال ص ٦١٤ وتحف العقول ص ١٠٣ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ٩٢ وج ٧٧ ص ١٩٢

وقد ورد: أن الأرض تطوى للناس في آخر الليل»^(١).
وعن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: إن الأوصياء لتطوى لهم الأرض، ويعلمون ما عند أصحابهم^(٢).
وروى ابن محبوب عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: سمعته يقول: اللهم صلّ على محمد صفيك، وخليتك، ونجيك، المدبر لأمرك^(٣).

قال العلامة المجلسي: إن هذا الحديث يدل على أن له مدخلا في تدبير أمور العالم، وأن الملائكة الموكلين بذلك مأمورين (مأمورون) بأمره^(٤).
عن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن المدبرات الأربعة: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ينظرون إلى الأرض الخ..^(٥).
عن الرضا «عليه السلام» قال في حديث عن الخضر: «... وإنه ليأتينا،

ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٤٤١.

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٢٧٨ و ٢٦٤ و ج ٤٦ ص ٣٨ و ٧٨ و ج ٨٤ ص ٢٣١ و ج ٧٢ ص ١٠٠ و ج ٧٥ ص ٧٨ و ج ٩٧ ص ١٠٩ و روضة الكافي حديث ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ والغدير ج ٥ ص ١٦ و مرآة العقول ج ٢٦ ص ٤١٤ و ٤١٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٧٠ عن بصائر الدرجات، وعن الإختصاص ص ٣١٦.
(٣) الكافي ج ١ ص ٤٥١.

(٤) اثبات ولايت (ط ٢ فارسي) ص ١٤٩ عن المجلسي، و مرآة العقول ج ٥ ص ٢٧٢.
(٥) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥ - ٦ و بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١٨ و مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٢٥٤ و نور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٤٩٨ و كنز الدقائق (تفسير) ج ١٤ ص ١١٣.

فيسلّم علينا، فنسمع صوته، ولا نرى شخصه، وإنّه ليحضر حيث ذكر، فمن ذكره منكم، فليسلّم عليه»^(١).

وفي تفسير الكلبي: إن الخضر واليسع يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج^(٢).

وقد أعطي الخضر من القوة: أن يتصور كيف يشاء^(٣).

قال الصادق «عليه السلام»: لا يكون في الجنة من البهائم سوى حمارة بلعم بن باعور، وناقّة صالح، وذئب يوسف، وكلب أهل الكهف^(٤).

عن الصادق عن أبيه «عليهما السلام»، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: خِيُولُ الْغَزَاةِ فِي الدُّنْيَا خِيُولُهُمْ فِي الْجَنَّةِ^(٥).

(١) كمال الدين ص ٣٩٠ وبحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٩٩ وج ٥٢ ص ١٥٢ وهداية الأمة ج ٥ ص ١٥٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٢ ص ٨٥ و (الإسلامية) ج ٨ ص ٤٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٧٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٩٩ وج ١٢ ص ١٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٨٠ ومجمع البيان (تفسير) ج ٦ ص ٣٨٩.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٤٣ وبحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٩٠ و ٢٩٧ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٦٧٢ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ٢٩٢.

(٤) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٩٥ وج ١٤ ص ٤٢٣ وج ١٣ ص ٣٧٨ وفي الروضات (ط) ص ٢٣٠ عدّ عشرة أو اثنتي عشر.

(٥) الكافي ج ٥ ص ٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٥ ص ١٠ - ١١ و (الإسلامية) ج ١١ ص ٦ - ٥ وبحار الأنوار ج ٧ ص ٢٧٦ ومرآة العقول ج ١٨ ص ٣٢١ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١١٥ وج ٣ ص ٢٤٤.

خلاصة أخيرة:

ونستطيع أن نقول:

لقد اختصر الله سبحانه الإجابة على هذا السؤال بقوله، حكاية عن أهل الإيمان والعقل والدراية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

وهؤلاء هم «أولوا الأبصار»، كما ورد في الحديث الشريف^(٢).

فهذا العالم كله منظومة واحدة مترابطة، وكل ما فيه من مخلوقات تسعى فيه إلى كمالها وغاياتها، ولا ينحصر الأمر بالإنسان.. وكل ما فيه له موقفه، ووظائفه، وله درجة من الإدراك والاختيار، والسعي إلى الله سبحانه، وله إسهاماته في تحقيق الغايات والأهداف الإلهية.

وليس الأمر حكراً على الإنسان، ولا على أي فئة أخرى مما خلق الله تعالى.

على أنه إن لم يستطع بعض البشر إدراك ما في السماوات بسبب قصورهم أو تقصيرهم، بعدم تأدية فروض الطاعة لله، كما يريد الله، فحرموا من بعض تفضلاته، فهناك من الأنبياء والمرسلين، والأئمة الطاهرين، والعلماء والأولياء الصالحين من بلغ بجهد وجهاده أعلى مراتب المعرفة، حتى تمكن من تسخير كثير من الموجودات وإخضاعها لإرادته، فطويت له الأرض، وعرج به إلى السماوات، ونال الكرامات، واجترح المعجزات بإذن الله، فأبرأ الأكمه والأبرص،

(١) الآية ١٩١ من سورة آل عمران.

(٢) راجع مستدرک سفینه البحار ج ١ ص ٣٦١ مادة «بصر».

وأحيا الموتى، وما إلى ذلك.. مما أشرنا آنفاً إلى عينات يسيرة جداً منه.
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

القسم الثاني

الأنبياء عليهم السلام ..

عصمة إبراهيم عليه السلام

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين..

سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

كيف نفهم الاختلاف في هذه الروايات في نفي شرك إبراهيم «عليه
السلام»؟!

١ - سئل أبو عبد الله «عليه السلام» عن قول إبراهيم «عليه السلام»: **﴿هَذَا رَبِّي﴾**، هل أشرك في قوله: **﴿هَذَا رَبِّي﴾**؟!

فقال: لا، بل من قال هذا اليوم، فهو مشرك.

ولم يكن من إبراهيم شرك، وإنما كان في طلب ربّه، وهو من غيره شرك^(١).

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٥ و (نشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران) ج ١ ص ٢٠٧ وبحار الأنوار ج ١١ ص ٧٧ وج ١٢ ص ٣٠ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٣٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٤ ص ٣٧٥ ونور الثقلين (تفسير)

٢ - عن محمد بن مسلم، عن أحدهما «عليهما السلام» قال في إبراهيم «عليه السلام» إذ رأى كوكباً.

قال: إنما كان طالباً لربه، ولم يبلغ كفرًا. وإنه من فكر من الناس في مثل ذلك، فإنه بمنزلته^(١).

٣ - عن حجر قال: أرسل العلاء بن سيابة يسأل أبا عبد الله «عليه السلام» عن قول إبراهيم «عليه السلام»: ﴿هَذَا رَبِّي﴾، وأنه من قال هذا اليوم فهو عندنا مشرك..

قال: لم يكن من إبراهيم شرك، إنما كان في طلب ربه، وهو من غيره شرك^(٢).

٤ - في حديث طويل أن بعض الزنادقة قال لأmir المؤمنين «عليه السلام»: وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٣).
وبتكذيبه نوحاً لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾^(٤)، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(٥)..

ج ١ ص ٧٣٨.

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٦٤ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٤٠ وكنز الدقائق (تفسير)

ج ٤ ص ٣٧٦ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٧٣٨.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٦٥ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٧٣٨.

(٣) الآية ١٢١ من سورة طه.

(٤) الآية ٤٥ من سورة هود.

(٥) الآية ٤٦ من سورة هود.

وبوصفه إبراهيم: بأنه عبد كوكباً مرة، ومرة قمراً، ومرة شمساً..
 ويقول في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (١).
 وبتهجينه موسى حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ (٢) الآية.
 وبعثه على داود جبرئيل وميكائيل، حيث تسوروا المحراب إلى آخر
 القصة..

وبحبسه يونس في بطن الحوت، حيث ذهب مغاضباً مذنباً..
 وأظهر خطأ الأنبياء وزللهم، وواری اسم من اغتر، وفتن خلقه، وضل
 وأضل، وكنى عن أسمائهم في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا
 لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ
 أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ (٣)..
 فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء؟!

إلى أن تقول الرواية: إنه «عليه السلام» أجاب بقوله:

وأما هفوات الأنبياء «عليهم السلام»، وما بينه الله في كتابه، ووقوع الكناية
 عن أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء، ممن شهد الكتاب بظلمهم،
 فإن ذلك من أدل الدلائل على: حكمة الله عز وجل الباهرة، وقدرته القاهرة،
 وعزته الظاهرة، لأنه علم: أن براهين الأنبياء تكبر في صدور أمهم، وأن منهم
 من يتخذ بعضهم إلهاً، كالذي كان من النصارى في ابن مريم، فذكرها دلالة

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف.

(٢) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٣) الآيات ٢٧ - ٢٩ من سورة الفرقان.

على تخلفهم عن الكمال الذي تفرد به عز وجل..

ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى «عليه السلام» حيث قال فيه وفي أمه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾؟! (١). يعني: أن من أكل الطعام كان له ثفل، ومن كان له ثفل، فهو بعيد مما ادعته النصرى لابن مريم، ولم يكن عن أسماء الأنبياء تجبراً وتعزراً، بل تعريفاً لأهل الاستبصار (٢).

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

أولاً: إن هذه الروايات مروية في كتب لم تذكر أسانيداً، كالعياشي، والإحتجاج، وتفسير القمي..

ثانياً: إن الآيات الشريفة قد فرّعت بفاء التفرع قول إبراهيم «عليه السلام»: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ تارة، للكوكب.. وأخرى للقمر، وثالثة للشمس - فرّعت ذلك - على قول إبراهيم «عليه السلام» لأبيه آزر ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ

(١) الآية ٧٥ من سورة المائدة.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٧٠ وبحار الأنوار ج ٩٠ ص ٩٨ - ١٤٢

وج ٨٩ ص ٤٣ والبرهان (تفسير) ج ٥ ص ٨٢١ - ٨٤٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٤ ص ١٧٧.

قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ..

إلى أن قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (٢).

فمن يقول لأبيه آزر: إنه وقومه في ضلال مبين، ثم يريه الله ملكوت السماوات والأرض، ليوقن بالله وعظمته، وبقدرته، لا يمكن أن يبقى مشركاً، ولا شاكاً، لكي يقول للكوكب والقمر والشمس: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على سبيل الريب والشك.. لأن اليقين الذي حصل له من رؤيا ملكوت السماوات والأرض لا يجمع الشرك الذي ينسب إليه بعد هذه الإراءة.

ثالثاً: إن قول إبراهيم: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ لا يدل على وجود ريب لديه «عليه السلام» في حقيقة الله سبحانه، إلا إن كان يقول ذلك على سبيل الإخبار عن اعتقاده، وليس في الآية ما يدل على ذلك.. لاحتمال أن يكون قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على سبيل الإستفهام الإنكاري الذي يصاحب اليقين الذي حصل له قبل ذلك، أو لعله قاله للتوطئة للنتيجة التي يريد أن يتوصل إليها.

فإن من الواضح: أن إبراهيم «عليه السلام» كان يعرف ويرى طيلة حياته قبل ذلك، ومنذ صغره: أن الكوكب يأفل، فلماذا ينتظر هذه المرة فقط إلى حين أفوله، لكي يتراجع عن شركه؟!

كما أنه حين رأى القمر كان يعلم مسبقاً: أنه يأفل، وكان يرى ذلك طيلة

(١) الآيات ٧٤ - ٧٨ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

حياته، فلماذا يبقى على شركه واعتقاده بربوبيته إلى حين أفوله.. في خصوص هذه المرة التي حصلت له بعد رؤية الملكوت، وتحقق اليقين له؟!

وهكذا الحال بالنسبة للشمس التي كان يعرف أنها سوف تأفل وتغيب كل يوم، فلماذا انتظر هذه المرة فقط إلى أن غابت؟!

إنه «عليه السلام» لو كان يقول: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ للكوكب، والقمر، والشمس، على سبيل الاعتقاد والحقيقة.. مع ملاحظة هذه الأحوال لكان - والعياذ بالله - سفيهاً، وشديد الغفلة والسذاجة.. وهذا ما لا يمكن قبوله في حق أي إنسان، فما بالك بإبراهيم شيخ الأنبياء وأفضلهم بعد نبينا محمد «صلى الله عليه وآله».

رابعاً: يضاف إلى ذلك كله: أن الآيات تصرح: بأن الله عز وجل هو الذي ألهم إبراهيم «عليه السلام» هذا النحو من الاحتجاج على قومه.. حيث قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾^(١). وهذا يدل على أن ما جرى كان تعليمًا إلهيًا له لطريقة الاحتجاج عليهم.

خامساً: قول إبراهيم «عليه السلام» حين أفول القمر: ﴿لَيْتَنِي لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^(٢).. يشير إلى أنه يرى أن عبادة الشمس والقمر والكوكب ضلالاً، فكيف يكون قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ ناشئاً عن اعتقاده بالوهية أي من هذه الثلاثة. أعني الكوكب والقمر والشمس؟!

سادساً: إن الروايات الأربع التي ذكرها السائل قد أبهمت الجواب، إذ لا معنى لقول الإمام «عليه السلام» عن إبراهيم «عليه السلام»:

(١) الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٧٧ من سورة الأنعام.

«كان طالباً لربه، ولم يبلغ كفراً»، إذ لا يمكن فهم هذا الكلام، إلا على النحو الذي ذكرناه في هذه الإجابة، لأن مجرد الريب والشك في الذات الإلهية يوجب الكفر.

ولكن مجرد إظهار الكفر، لكي يتوصل به إلى إقناع الغير بخطأه، ولم يكن عن ريب وشك، لا يكون كفراً.

كما أن من الواضح: أن الشرك شرك على كل حال، فلا يكون شيء شركاً في يوم، أو في زمان، ثم لا يكون نفس ذلك الشيء شركاً في يوم أو في زمان آخر.. إلا على هذا النحو الذي ذكرناه.

سابعاً: روى تميم بن عبد الله بن تميم القرشي، عن أبيه، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن علي بن محمد بن الجهم قال:

حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى «عليهما السلام»، فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك: الأنبياء معصومون؟! قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟! (١). فقال «عليه السلام»: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢)، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة، ولم يأكلا منها، وإنما أكلا من

(١) الآية ١٢١ من سورة طه.

(٢) الآية ٣٥ من سورة البقرة.

غيرها، لما أن وسوس الشيطان إليهما، وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾، وإنما ينهاكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾^(١). فأكلا منها ثقة بيمينه بالله.

وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم.

فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣). فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾؟!^(٤).

فقال له الرضا «عليه السلام»: إن حواء ولدت لآدم خمس مائة بطن ذكراً وأنثى، وإن آدم «عليه السلام» وحواء عاهداً الله عز وجل ودعواه، وقالوا:

(١) الآيات ٢٠ - ٢٢ من سورة الأعراف.

(٢) الآيتان ١٢١ و ١٢٢ من سورة طه.

(٣) الآية ٣٣ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ١٩٠ من سورة الأعراف.

﴿لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١) من النسل خلقاً سوياً، بريئاً من الزمانة والعاهة، وكان ما آتاها صنفين: صنفاً ذكراً، وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاها، ولم يشكراه كشكر أبويها له عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقاً، فأخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم «عليه السلام»: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾.

فقال الرضا «عليه السلام»: إن إبراهيم «عليه السلام» وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفي فيه ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾، فرأى الزهرة قال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾، على الإنكار والاستخبار، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ الكوكب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ﴾، لأن الأفول من صفات المحدث، لا من صفات القدم ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ على الإنكار والاستخبار: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ يقول: لو لم يهديني ربي لكنت من القوم الضالين.

فلما أصبح و ﴿رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الزهرة والقمر، على الإنكار والاستخبار، لا على الإخبار والإقرار. ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ قال للأصناف الثلاثة، من عبدة الزهرة والقمر، والشمس: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ

(١) الآية ١٨٩ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٩٠ من سورة الأعراف.

مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾، وإنما أراد إبراهيم «عليه السلام» بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض.

وكان ما احتج به على قومه، مما ألهمه الله تعالى وآتاه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَنَلِّكَ حُجَّتْنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾.

فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله..^(١). انتهى موضع الحاجة من هذه الرواية، ولم نذكرها بتمامها، لأن ما بقي منها لا ربط له بالسؤال.. ونقول:

ينبغي لفت النظر إلى أن هذه الرواية ذكرت أمراً أجمعت الإمامية على خلافه، وهو: أن معصية آدم كانت في الجنة، وأن الله تعالى أهبطه إلى الأرض بسببها..

وقد حصل ذلك قبل النبوة، ولم يكن ذلك ذنباً كبيراً، استحق به النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة، التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتنبه ربه وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة. مع أنه يخالف ما أجمعت عليه الإمامية، ودلت عليه الأخبار المستفيضة،

(١) راجع: بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٤ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٧٤ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ٢ ص ١٢٤ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٣٢ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٤ ص ٣٧١.

كما صرح به العلامة المجلسي^(١)، من أن الأنبياء لا يرتكبون أية مخالفة في جميع أدوار حياتهم، وسائر نشأتهم، وحالاتهم.. قبل النبوة وبعدها، وقبل الهبوط وبعده.. فكيف يمكن فهم ذلك؟!

ونجيب:

إن علينا ملاحظة ما يلي:

١ - إن الإمام «عليه السلام» قد أجرى كلامه هذا.. لا على سبيل التبني والإعتقاد بمضمونه، وإنما أجراه على قاعدة الإلزام: «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»، وعلى قاعدة: «من فمك أدينك».

فإن هذه هي الطريقة المثلى والفضلى في إبطال الشبهات، ورد الأباطيل والأضاليل.. والحوار في الرواية كان للإمام «عليه السلام» مع المخالفين لأهل البيت «عليهم السلام»، لأن المأمون كان هو الذي يوجّه الأسئلة إلى الإمام «عليه السلام»، ولم يكن المأمون على طريقة أهل البيت «عليهم السلام»، ولا نشأ في مدرستهم «عليهم السلام»، ولا يعتمد نهجهم، بل كان متأثراً بمقالات غيرهم، ومنهم المعتزلة وعلمائهم.

بل إن راوي الرواية هو علي بن محمد بن الجهم، وقد قال الشيخ الصدوق في ذيل نفس هذا الحديث: «هذا الحديث غريب من طريق علي بن محمد بن الجهم، مع نصبه، وبغضه، وعداوته لأهل البيت «عليهم السلام»»^(٢).

(١) راجع: بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٤ وراجع ص ٧٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٨٢ وراجع: بحار الأنوار ج ١١ ص ٨٥ وج ٤٩ ص ١٨٠ والنور المبين للجزائري ص ١٩.

والذي يراجع الأسئلة التي كانت تطرح على الإمام من قبل المأمون يرى أنها كانت كلها مجرد شبهات وأباطيل، كان لا بد من إبطالها.. وهذا ما صنعه الإمام «عليه السلام».

٢ - إنه «عليه السلام» لو أراد أن يجيب على تلك الشبهات بمجرد تقرير وبيان ما أراد الله بها.. لبادر المخالفون إلى إثارة شبهات أخرى حول ما يطرحه «عليه السلام» من حلول، ولوجدتهم يتشبهون، ولو بالطحلب لتهجينها، والتشكيك فيها.

وهذا يزيد الأمر تعقيداً، والخرق اتساعاً، ويوجب وهن الحق، وضياع معامله، وتمكن الشبهات والأباطيل، وهيمنتها على أذهان الناس، ولا سيما من لم يضرب بسهم وافر في العلم، ولم يكن لديه دافع للبحث، والتقصي، ولم يكن يروق له الرجوع إلى أوعية العلم، وأعدال القرآن، وهم أهل البيت. وهذا الواقع المستجد سوف يغري أهل الباطل، ومروجي الضلالات والترهات، بمضاعفة نشاطهم الفاجر والماكر في تضليل الناس، وتضييع معالم الحق.

٣ - فظهر: أن النهج الذي اتبعه الإمام «عليه السلام» في إبطال وتزييف تلك الشبهات هو النهج الحكيم والسليم.. فكان خلاصة ما أشار إليه «صلوات الله وسلامه عليه» كما يلي:

إن الذين يدعون أن الأنبياء قد يذنبون قبل النبوة، أو قبل الهبوط من الجنة.. استناداً إلى قصة آدم قد اخطأوا خطأ فاحشاً في فهمهم للآيات الشريفة، لأنهم خرجوا حتى عن الأصول والمناهج التي ألزموا أنفسهم بها.

فقد بيّن «عليه السلام»: أن الآيات لا تدل على ما يقولون.. ووفق معاييرهم ومناهجهم، بل هي على تنزيه الأنبياء أظهر وأدل.

وذلك لأن الإعتقادات تحتاج إلى الثبوت بالحجة والدليل، فإذا كان الدليل هو النص، أو الظاهر، فلا بد أن لا يكون هناك احتمال آخر للكلام الذي يراد الإحتجاج به يمكن أن يسقط ظهوره ودلالته على ما يراد الإستدلال به عليه، وقوله تعالى لآدم وحواء: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يحتمل أن تكون كلمة «هذه» إشارة إلى شجرة معينة.. لاسيما إذا صاحب ذلك إشارة، أو قرينة حسية تحدد المشار إليه بكلمة «هذه»، وتعيّنه، وتخرجه عن حالة الإبهام.

فهذه الآية ليس فقط لا تدل على حصول الذنب أو المخالفة من آدم «عليه السلام».. بل هي على خلاف ذلك أدل، لأن مفادها: أن على آدم لا يأكل من الشجرة المشار إليها، المعينة له، والمحددة بكلمة «هذه».. ولكنه يستطيع أن يأكل من أي شجرة أخرى، حتى لو كانت من جنس الشجرة المنهي عنها، لأنه تعالى لم ينهه عن جنس شجرة الجوز أو اللوز، أو الحنطة مثلاً، بل نهاه عن الإقتراب من شخص شجرة محددة..

ولو أريد من كلمة «هَذِهِ الشَّجَرَةُ» جنس الشجرة التي يشير إليها، لكان عليه أن يصرح باسم الجنس، ويقول: وَلَا تَقْرَبَا شَجَرَةَ الحنطة أو الجوز، أو اللوز مثلاً.. ولا يكفي أن يكون هذا محتملاً، لأن الإحتمال الآخر أبين وأظهر منه..

وهذا ما بيّنه الإمام «عليه السلام» في الرواية المتقدمة. وهو يكفي لإسقاط دعوى أولئك الذين يريدون إثبات وقوع المخالفة من آدم «عليه السلام»..

أما فيما يرتبط بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، فقد بيّنا المراد منه في

كتابتنا: براءة آدم «عليه السلام».

ثامناً: بالنسبة لما ورد في جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» على أسئلة الزنديق نقول باختصار شديد:

ألف: إن جواب الإمام «عليه السلام» قد تكفل ببيان سبب تصريح القرآن بأسماء الأنبياء الذين يتحدث عنهم بما يشبه العتب، أو ما يوهم المؤاخذه لهم.. فذكر أنه تعالى أراد أن يبين للناس أمراً بالغ الأهمية، وهو: أن الأنبياء بشر، وأن ما يظهرونه من معجزات لا يبرر الغلو فيهم، وجعلهم آلهة تُعبد من دون الله سبحانه.

ولكنه لا يذكر أسماء من غرر بالناس، وأثار الفتن، وضل وأضل، بل كنى عن أسمائهم، حسبما ورد في سؤال ذلك الزنديق.

وقد أجاب علي «عليه السلام» على هذا السؤال بما أسقطه عن الاعتبار.

ب: إن الشواهد التي ذكرها ذلك الزنديق على أنها هفوات ليست من الهفوات في شيء بل هي من مفاخر الأنبياء، التي استحقوا بها علو الشأن، ورفعة المقام عند الله.

ونشير هنا ببضع كلمات إلى المقاصد الحقيقية من تلك الآيات المباركة باختصار شديد، وأكد:

١ - بالنسبة لقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١) نقول:

قلنا في كتابنا: براءة آدم «عليه السلام»:

(١) الآية ١٢٢ من سورة طه.

إنه لو لم يأكل آدم من تلك الشجرة لما استحق مقام النبوة، ولا حصل على مقام الإجتباء الإلهي له.

والمراد بالمعصية في هذه الآية: ليس هو التمرد على المولى جل وعلا..

بل المراد: إظهار الحرص على نيل أعلى المقامات في طاعة الله. حيث قد أخبره الله تعالى من خلال نبيه له عن الإقتراب من الشجرة: بأنه سيواجه أعظم المضاعف والنوائب، والأهوال، فرضي «عليه السلام» بذلك حباً بالله، وشوقاً إليه.. فاستحق بذلك: أن يكون نبياً، وأن يجتبيه الله تعالى، فراجع كتابنا: «براءة آدم».

٢ - إن الله تعالى لم يكذب نوحاً «عليه السلام» بقوله له عن ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(١).

فأولاً: من الذي قال: إن نوحاً كان جاهلاً بكفر ولده؟! فلعله كان عالماً به.. ولكنه «عليه السلام» أراد للناس أن يعرفوا: أن إغراق ابنه لم يكن خُلُفاً في وعده عز وجل له..

ثانياً: يشهد لذلك: أن الله سبحانه كان قد ذكر أنه سوف ينجي أهل نوح إلا من سبق عليه القول (أي الحكم بالإغراق)، بسبب كفره، فقد قال تعالى لنوح: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾^(٢).. فالإستثناء الوارد هنا، إنما هو إستثناء من أهل نوح، وليس من الأزواج التي أمره الله أن يحملها في السفينة..

(١) الآية ٤٦ من سورة هود.

(٢) الآية ٤٠ من سورة هود.

وابن نوح هو من تخلف عن السفينة، رافضاً الصعود إليها، فلا يوجد مورد لهذا الإستثناء سواه.. وهذا يدل على أن نوحاً لم يطلب نجاة ابنه، لأنه يعرف أن الله استثناه، بل أراد أن يسمع الناس هذا الأمر ليقطع دابر التشكيك والريب. ثالثاً: إن الله يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾^(١). وهذا يدل أيضاً على أن نوحاً لم يطلب من الله نجاة ولده.. كما أنه يصرح: بأن وعد الله حق.. مما يعني: أن سؤال نوح «عليه السلام» كان يهدف إلى إيضاح الحال للآخرين، وأن إغراق ابنه كان حقاً، وأنه ليس مورداً للوعد، كما تقدم.

رابعاً: إن آية: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾^(٢). قد حصل مضمونها بعد الطوفان، وغرق من غرق، وبعد انحسار الماء.. وهذا يؤكد: أنه «عليه السلام» يريد أن لا يتوهم متوهم من المؤمنين: أن الله عز وجل قد أخلف وعده.

٣- وعن قصة يوسف «عليه السلام» نقول:

إن قميص يوسف الذي قُدَّ من الخلف يدل على أن يوسف هو الذي هرب من زوجة العزيز نحو الباب، فأخذت قميصه فقذته، ولكنه استمر يجري نحو الباب، فألفيا زوج تلك المرأة لدى الباب.

٤- وعن قول موسى «عليه السلام»: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٣) نقول:

(١) الآية ٤٧ من سورة هود.

(٢) الآية ٤٥ من سورة هود.

(٣) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

إنما طلب موسى ذلك، ليس لأجل أنه يرى أن رؤية الله تعالى ممكنة، بل لأن قومه أصروا عليه به، وقد أراد «عليه السلام» بطلبه هذا أن تظهر المعجزة لقومه، ليعرفوا: أن ما طلبوه تكاد السماوات يتفطرن منه، وتخر الجبال هداً.. وقد قال له: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾^(١).

٥ - وبالنسبة لحديث داود «عليه السلام» نقول:

أولاً: ليس في الآيات أية دلالة على تقصير أو خطأ من قبل داود «عليه السلام» في الحكم، أو مخالفة منه للحق.. لاسيما وأن الآيات تقول: إن الله تعالى كان قد آتاه الحكمة وفصل الخطاب.

ثانياً: إن الله تعالى قد كافأه على حكمه في النعاج: بأن منحه مقام الزلفى والقرب، وحسن المآب، ثم جعله الله خليفة في الأرض، ليحكم بين الناس بالحق، ولو كان مخطئاً لاستحق اللوم، وليس المكافأة.

ثالثاً: لعل داود «عليه السلام» قد ظن: أن الملكين اللذين تسورا عليه بيته، وموضع عبادته، ثم طرحا هذا السؤال القضائي عليه - ظن - أن ذلك لتقصير حصل منه..

وتوضيح ذلك: أنه «عليه السلام» عرف أن اللذين تسورا عليه كانا من الملائكة.. وهو يعرف: أن الملائكة لا تتخاصم، ولا تحتاج إلى قاضٍ يفض الخصومة، وأنها لا شأن لها بالنعاج والأموال، والمقتنيات الدنيوية.

ورأى أن السؤال الذي طرح عليه، لا يقع فيه نزاع يحتاج إلى مرافعة

(١) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

لحلّه، ولا يضل عنه أحد ليجتاح إلى الهداية إلى سواء الصراط، لأنه من أوضح الواضحات، وأبده البديهيات.

ورأى أن هذا يحدث له بعد أن آتاه الله الحكمة، وفصل الخطاب.

فكان من الطبيعي بملاحظة ذلك كله: أن يدرك أن ما جرى كان من التدبير الإلهي، لغرض جليل، ونبيل، وجميل.

ولكن السؤال هو عن حقيقة هذا الغرض، أو الهدف الذي يريد الله تعالى إيصال داود «عليه السلام» إليه؟!!

وحيث إن معرفة هذا الغرض لا تدرك بالعقل، كان لا بد من الرجوع إلى النقل، فقد روى الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن القاسم بن محمد البرمكي، عن أبي الصلت الهروي: أن الإمام الرضا «عليه السلام» أجاب علي بن محمد بن الجهم على أسئلته، وكان منها سؤال عن داود «عليه السلام»، وقصة النعاج، فكان مما أجاب به «عليه السلام» قوله:

«إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين، فتسورا المحراب، فقالا: ﴿خَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾. فعجل داود «عليه السلام» على المدعى عليه، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾*.

فلم يسأل المدعى البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه، فيقول:

ما تقول؟!!

فكان هذا خطيئة حكمه، لا ما ذهبتم إليه..

ألا تسمع قول الله عز وجل يقول: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾؟! (١) (٢).

ولعل مراد الإمام «عليه السلام» من بيانه هذا: أن يفهمنا: أنه بعد أن أعطي داود الحكمة وفصل الخطاب.. وبلغ هذا المقام الرفيع، قد يمر في خاطره سؤال عن أنه: هل أعطى الله تعالى أحداً سواه في عصره مثل ما أعطاه؟! مع أن خطور هذا الخاطر في البال ليس ذنباً، ولا هو مكروه، أو خلاف الأولى..

فإن الله تعالى أراد أن يوظف هذا الخاطر في رفعة شأن داود «عليه السلام»، ونقله إلى مرحلة أسمى وأرقى، ويبلغه درجة الزلْفى، وحسن المآب، ونيله مقام الخلافة في الأرض.. لكي يستثمر ما كان قد أعطاه إياه من الحكمة، ويفيد العباد من فصل الخطاب، ويتحمل مسؤولية حفظ حقوقهم، ورعاية شؤونهم. من المعلوم: أن توظيف المباحات للحصول على أسمى المقامات ليس عقوبة، ولا مؤاخذه، ولا عتاباً، بل هو تفضل ورعاية.. فأرسل الله تعالى الملكين بهذه الصورة، ليسهما ويساعدا في رفع شأن داود بهذه الطريقة..

فكان ما جاء به إلى داود، من قبيل ضرب الأمثال، بهدف زيادة البصيرة في الدين، وإعلامه بأن الله تعالى يُعِدُّ ويرصده لما هو أعلى وأعلى، وأجل من

(١) الآيات ٢٢ - ٢٦ من سورة ص.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٣.

مقام الحكمة وفصل الخطاب..

ولا بد أن يكون داود قد فهم من سؤال الملكين إياه عن النعاج: أن الكثرة والقلّة للنعاج، أو غيرها من المقتنيات لا أثر لها في مضمون الحق، وفي آثار العدوان عليه..

وهذا أيضاً هو المعيار في العلم والحكمة، فإن الكثرة فيها ليست هي المعيار، بل المعيار هو تأثيرها في الوجدانية لطهر الضمير، وسلامة المسار، وتقوى الله.

فمن يملك نعجة واحدة يكون له فيها من الحق نفس ما يكون لصاحب التسع وتسعين نعجة في تلك النعاج، كما لا فرق بين قتل نبي أو وصي، وسلب نملة جلب شعيرة، فكلاهما معصية، وكلاهما عدوان، وتمرد على الله، وجرأة على ساحة قدسه تعالى.. وإن كانت آثار المعاصي تتفاوت، وعقابها يختلف أيضاً.. والآثار التي تترتب على العدوان على الحق في النعجة الواحدة، هي نفسها التي تترتب على العدوان على الحق في التسع والتسعين..

فإذا جعل الله تعالى داود «عليه السلام» حافظاً للحقوق، وخليفة في الأرض، فيجب عليه أن يراعي هذا الأمر، ولا يغمط حق أحد لأجل القلة، ولا يحفظ حق غيره لأجل الكثرة..

وهذا امتحان نجح فيه داود «عليه السلام» أيما نجاح، كما أظهره جوابه الصريح والصحيح، وكما دل عليه نيله مقام الزلفى وحسن المآب، بالإضافة إلى جعل الله تعالى له خليفة في الأرض، ليحكم بين الناس بالحق.. ولو كان قد فشل في الإمتحان، لم يحسن جعله خليفة وحاكماً..

فظهر بذلك كله: أن ما جرى كان يهدف إلى إظهار عظمة داود في عبادته، وعدله في قضائه، وأنه يستحق الخلافة في الأرض، وأن يكون حاكماً بين الناس. على أن سؤال الملكين له يتضمن طلب الهداية لهما إلى سواء الصراط، مما يعني: أنهما يسألانه عن الفتوى، ولا يطلبان فض النزاع بينهما، فإن الملائكة لا يتنازعون، وطريقة دخولهما عليه تدل على أنهما كانا ملكين..

وكلمة ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا﴾^(١) ليس المراد بها القضاء، بل المراد: التبصر بالحق. ٦ - وأما يونس «عليه السلام»، فالمراد بظنه: أن الله لا يقدر عليه: أنه سبحانه لا يضيق عليه.. فهو على حدّ قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾^(٢). أما حبسه في بطن الحوت، فليس لأنه كان مغاضباً ربه، كما قد يدّعيه البعض، لأنه لم يغضب ربه، بل كان مغاضباً قومه الذين أبوا قبول الهدى الإلهي..

وإنما التقمه الحوت لأمر آخر يرتبط بزيادة معرفته بالله وبقدرته، وحكمته، وعلمه، وسائر صفاته سبحانه، بهدف رفع مقام يونس، والدلالة على العناية الإلهية به.

٧ - وأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾^(٣). فليس بالضرورة أن يكون المراد بالظالم شخصاً بعينه، والآيات لا تدل على ذلك، بل هذا إخبار عما سيكون عليه كل ظالم يوم القيامة.

(١) الآية ٢٢ من سورة ص.

(٢) الآية ١٦ من سورة الفجر.

(٣) الآية ٢٧ من سورة الفرقان.

وورد بعض التطبيقات للآيات، له غاياته وأهدافه في إثراء الوعي، وصقل الفكر، وتزكية النفس، وتطهير الروح.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي

قبور الأنبياء

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسم: أحمد عباس حمزة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

هل تجزمون بصحة نسبة مزار الحمزة الغربي في بابل - المدحتية، إلى السيد حمزة بن القاسم العلوي العباسي؟!

علماً أن نسبة المزار إلى صاحبه جاءت في قصة طويلة رواها الميرزا النوري في جنة المأوى ص ١١٩، والسيد الشيرازي في كتاب من كرامات الأولياء، ونسبه إليه السيد الخوئي في المعجم، والمحدث القمي في الكنى والألقاب، وآغا بزرك الطهراني في بعض كتبه، كالذريعة ومصفى المقال .

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنني أعتذر عن الإجابة على مثل هذه الأسئلة، فإنني لم أبحث، ولست الآن بصدد البحث فيما ثبت أو لم يثبت عن قبور الأولياء والعلماء، وأبناء الأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين»، لأنني رأيت، وأرجو أن لا أكون مخطئاً: أن التفرغ للبحث فيما يرتبط بالأمور الاعتقادية، والإيمانية،

والتفسيرية، وشؤون الدين، وحقائقه، ودفع الشبهات عن المذهب، وغير ذلك هو الأجدر، والأولى في أيامنا هذه.

وبالنسبة لي لا يتسع الوقت والطاقة، ولا تساعد الظروف على التصدي للبحث في جميع الموضوعات التي تنتظر البحث، على أن هناك الكثير من العلماء والمتقنين الناضجين والكفوئين الذين يمكنهم التصدي لمثل هذه الأمور. حفظك الله، وأثابك ثواب العاملين المخلصين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

٢٣/٢/١٤٤٠ هـ. ق ٢/١١/٢٠١٨ م. ش.

عيثا الجبل - جبل عامل

جعفر مرتضى العاملي

القسم الثالث

حسينيات..

إستسقاء الحسين للرضيع

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة السيد جعفر مرتضى «حفظه الله»..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هل تصح رواية حمل الإمام الحسين «عليه السلام» للطفل الرضيع،
وطلبه الماء لهذا الطفل، مع ما فيها من الإلتقاص من الإمام الحسين، وظهوره
«عليه السلام» بهيئة الضعيف العاجز، الذي يستعطي الماء، وأن أعداءه أصحاب
مشاعر إنسانية؟!!

أفيدونا، جزاكم الله خير الجزاء..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

بالنسبة لسؤالكم عن حمل الإمام الحسين «عليه السلام» الطفل الرضيع،
وطلبه الماء له من القوم الظالمين نقول:

إنه «عليه السلام» إنما أراد من ذلك أن يفهمنا أموراً عديدة:

١ - إنه إنما يطلب بحقه الذي جعله الله تعالى له، وفرضته المعايير الإنسانية والإيمانية، وليس لأحد إنكاره عليه، أو حجب عنه.

٢ - إن هذا الطلب يراد به فيما يراد: أن يظهر للأجيال مدى قسوة هؤلاء القوم، وأنهم يفعلون ما يفعلون عن معرفة، والتفات، وإصرار، وعمد، وسابق تصميم وإدراك، ولا يرفعون عن غيهم، ولا يترددون عن إجرامهم.

٣ - إنه «عليه السلام» يريد أن يمنع أعداءه من تشويه الحقائق، كادعاء أن لديهم عواطف إنسانية، ومشاعر وأحاسيس طبيعية.

٤ - قد يدعون أن هذا الطفل قد قتل خطأ من قبل رجل، أو من جاهل، لا يحسن التقدير، وقد أراد شيئاً، والذي حصل شيء آخر، أي أنه أراد قتل أبيه، فوقع السهم في ابنه، وأنهم لم يتعمدوا قتل هذا الطفل الرضيع، ولا عرفوا أنه عطشان، ولم يلتفتوا إلى أن أباه قد جاء به ليطلب له منهم الماء، ولو عرفوا أنه عطشان لسقوه.

ولكن الذي حصل: أنه لما طلب «عليه السلام» منهم الماء، وامتنعوا وكابروا، واختلف الجيش في الاستجابة لطلبه وعدمه، ثم قال عمر بن سعد لحرملة: اقطع نزع القوم.. فقد أسفر الصبح لذي عينين، ولم يعد مجال لأي ادعاء باطل، ولأي تزوير للحقائق من حاقده جاهل.

٥ - إن المطالبة بالحق لا تعدُّ استجداءاً.. بل هي حفظ للحق، وتأكيده لثبوته، وإعلان أنهم معتدون وغاصبون، وأن بغيتهم عليه لا يسلبه حقه الذي منحه الله إياه، وكرسه له.

ولعل السائل يتكون هذا الإنطباع لديه من جهة أداء بعض قرّاء العزاء، حيث يسترسلون في مقام بيان هذا المشهد بذكره على الوجه الحزين، فيتوهم أن الإمام «عليه السلام» يطلب الماء باكياً، أو مستجدياً، وغير ذلك.. وعلى الخطباء مراعاة مقتضيات كل مقام، وعلى المستمع أن يحسن التركيز والإلتفات.

٦ - إذا أخذنا بالرواية التي تقول: إن الفرات كان من مهر السيد الزهراء «عليها السلام»، فللإمام الحسين وأبنائه وذريته كل الحق في ماء هذا النهر.. وليس لغيرهم أن يدّعي أي حق له فيه.

٧ - إنه «عليه السلام» قد أقام على أعدائه الحجة بقوله لهم: إن الخنازير والكلاب تشرب من هذا النهر، فلماذا يمنعون أهل بيت النبوة منه، وهم صفوة الخلق، وأفضل وأشرف المخلوقات بعد رسول الله، وبعد علي ومعه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين «صلوات الله عليه وعليهم أجمعين»؟!!

٨ - إن الإستجداء لا معنى له هنا، فإن ما يطلبه الإمام الحسين منهم لم يكن ملكاً لهم، وليس لهم حق الإختصاص فيه، فهم لم يحوزوه في أوانيهم، وحتى مع حيازتهم له، فإنها إذا كانت على سبيل العدوان، وتكريس الحرمان، لا يكون لهذه الحيازة أية قيمة، أو أثر، فهم معتدون، جاحدون، غاصبون لحق غيرهم، بل لما هو من أموالهم إذا كان الله تعالى قد جعل الفرات من مهر الزهراء كما تقدم.

٩ - على أن الروايات تقول: إن الأرض كلها للإمام بتمليك من الله تعالى. فما معنى اعتبار طلب الإمام الماء منهم استجداء؟!!

١٠ - ولو كان المطلوب هو مجرد الحصول على الماء، فقد يمكنه «عليه

السلام» أن يظهر أنه يريد أن يهادنهم، ولو على سبيل الخداع لهم، فإن الحرب خدعة، ولكنه لم يفعل ذلك، ولم يستفد من هذا القانون الذي يقره العقلاء، وأمضاه الله ورسوله، بل أثر ما هو أسمى وأرقى، وأليق به، وأوفق برسالته، وأهدافه.

١١ - بالإضافة إلى أنه يريد إظهار المظلومية، لتبقى هي الشعلة المتلألئة على مر الدهور والعصور إلى يوم القيامة، لتلهب مشاعر المؤمنين، وتفتح العيون على الحقائق التي أرادوا طمسها، بغياً منهم، وظلماً وعلواً. حفظكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

٢٣/٢/١٤٤٠ هـ. ق ٢/١١/٢٠١٨ م. ش.

عيثا الجبل - جبل عامل

جعفر مرتضى العاملي

سيرة الحسين

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم: عبد الله الروماني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تقبل الله أعمالكم، وعظّم أجوركم.
ما هو تحقيق السيد جعفر مرتضى «حفظه الله» بالنسبة إلى رواية شهادة
الطفل الرضيع «عليه السلام».

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

يمكنك أيها الأخ الكريم مراجعة كتاب سيرة الإمام الحسين «عليه السلام»
الجزء ١٧ ص ٢٦٧ الفصل الثالث: «الأطفال.. الشهداء» للإطلاع على ما ذكرناه
هناك حول هذا الموضوع، وأنا لا أعتقد أن هذا الأمر محل شبهة أو شك، حتى
يطلب النظر فيه مني ومن أمثالي.

والذي يثير العجب، هو هذه الهجمة التشكيكية التي تستهدف تاريخنا،
وحقائق ديننا، ولا سيما قضية كربلاء، والحسين «عليه السلام» في عاشوراء،
حتى في أدق تفاصيلها، والحرص على إثارة الشبهات في ذلك كله، وفي كل
ما تسالم عليه الرواة والمؤرخون أو كادوا، وكأنه ليس لدى هؤلاء الناس،

ومن يقتفي آثارهم - وفيهم من لا نشك في صحة نواياهم - أمور أخرى تستحق البحث، والإهتمام من هؤلاء.. فلو أن المخلصين من أتباع أهل البيت صرفوا هذا الجهد في حفظ الدين، والتشيع، ودفع الشبهات، لكان أولى، وأجدي وبهم أليق، وبأهدافهم أوفق.

حفظكم الله ورعاكم، وسددكم، وأيدكم..

والسلام عليكم ورحمة الله..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

بيروت - لبنان

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

خطاب السيدة زينب في مجلس يزيد

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..
السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

لدي سؤال يقول: لماذا كانت السيدة زينب «عليها السلام» هي التي خطبت أمام يزيد خطبتها العصماء، وهو مجلس رجال، وخطبت أيضاً نساء الحسين «عليه السلام» في الكوفة، وكانت زينب «عليها السلام» هي التي واجهت ابن زياد، مع أن من المفترض أن يتصدى الإمام علي بن الحسين «عليه السلام» لهذه المواقف، فهو رجل، وهو إمام معصوم، فلماذا ترك الميدان للنساء؟! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

الأمر الذي أصدره الإمام الحسين «عليه السلام» للسيدة زينب: هو أن تحفظ له العيال والأطفال، ولم يقل ذلك لولده، والإمام من بعده «عليه السلام»، لأنه يعلم: بأنها «عليها السلام» هي القادرة على ذلك بصورة عملية.

وبعدما تقدم نقول:

١ - نحن على يقين، من أن الإمام السجاد «عليه السلام» لو تصدى ليزيد بمثل ما تصدت السيدة زينب لما أمهله يزيد، بل كان قد بطش به فوراً.

بل إن يزيد - فيما يظهر - كان يتحين الفرصة ليجد السبيل إلى قتل الإمام السجاد «عليه السلام» بالخصوص، لأنه يرى فيه نداً ومنافساً، يمثل خطورة كبيرة عليه. إذ لا يبعد أن يتمكن من قلب الأمور، بالاستفادة مما جرى في كربلاء، وإثارة مشاعر الناس في غير مصلحة الظالمين والمجرمين..

ولا شك في أن يزيد كان راصداً لأية كلمة تصدر من الإمام السجاد، ليجعل منها ذريعة للبطش به «عليه السلام». وقد ظهرت بوادر ذلك، وتحركت احتمالات حصوله من هياج ابن زياد، ومحاولته قتل الإمام السجاد لأجل كلمة لم تتضمن أي إهانة أو إدانة، فكانت السيدة زينب «عليها السلام» هي التي أبعدت شر ابن زياد عنه.

إن قلت: إن من المعلوم: أن للأئمة والأنبياء «عليهم السلام» قدرات غير عادية، وتصرفات إعجازية في الأمور التكوينية، فلماذا لا يستفيد الإمام السجاد «عليه السلام» من هذه القدرات لمنع يزيد، وابن زياد من إلحاق الأذى به؟!

فنجيب:

أولاً: بأن الأنبياء والأوصياء لا يستفيدون من قدراتهم غير العادية للسيطرة على إرادات الناس، لمنعهم من فعل ما يريدون، لأن ذلك ظلم لهم، وخلاف السنّة الإلهية في التعامل مع البشر.. بل على الأنبياء أن يواجهوا الناس بالإمكانات المتوفرة لدى أولئك الناس، والتي تقع في دائرة الاختيار والقدرة، والإرادة.

ثانياً: إن القدرات لم تمنح الأنبياء والأوصياء ليستفيدوا منها في جلب

المنافع لأشخاصهم، وأبنائهم، ومن يلوذ بهم، ودفع الأسواء عنهم، بل منحت لمقام النبوة، أو الإمامة، من حيث هو هداية للأمة، وإرشاد وتدير، ورعاية لها، وفق الخطة الإلهية الموصلة للغايات الإلهية الكبرى..

ولأجل ذلك لم يستفد أمير المؤمنين «عليه السلام» لدفع القتل عن نفسه، ولا الإمام الحسين «عليه السلام»، ولا أي من الأنبياء والأوصياء لتأمين حاجاتهم الشخصية، ودفع الأخطار عن أنفسهم، ولم يعالج الإمام الحسين يوم عاشوراء العطش الذي ألمَّ به وبأهل بيته، حتى الطفل الرضيع بوسيلة لا يقدر أعداؤه على مثلها، كأن يستخرج الماء لهم بصورة إعجازية.

كما أنه هو وأصحابه كانوا يعلمون بما سيجري، فلم يبدلوا مسارهم، استناداً إلى علمهم هذا، لأنه لا يحق لهم ذلك، كما قلنا.

نعم.. يمكن أن يتدخل الله تعالى لصنع الكرامة لأوليائه، ولإبطال كيد الظالمين من خارج دائرة اختيارهم، كما جرى لإبراهيم «عليه السلام» ونار النمرود، فإنه تعالى لم يمنع النمرود، وجلالوته من استحضار الخطب، والمنجنيق، وإضرار النار، وإلقاء إبراهيم في وسطها، بل تدخل في خارج هذه الدائرة، حيث قال تعالى للنار: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١).

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

١٩ تشرين الثاني سنة ٢٠١٨ م ش. ١١ ربيع الأول سنة ١٤٤٠ هـ ق.

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

(١) الآية ٦٩ من سورة الأنبياء.

القسم الرابع

قرآنيات..

علامات الوقف في القرآن

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

لدي بعض الأسئلة، وهي التالية:

أولاً: إن قرَّاء القرآن يصلون أحياناً بين الآية السابقة واللاحقة، فلماذا يفعلون ذلك؟! وهل هذا مطلوب؟!

ثانياً: إننا نجد في المصاحف حروفاً، أو ما يشبه الكلمات، موزَّعة في داخل الآية الواحدة، مثل: هـ. ج. ط. لا. قلى. صلى. ويقولون: إنها ترمز إلى أن على القارئ أن يلتزم الأمور التالية:

هـ: علامة الوقف اللازم.

لا: علامة النهي عن الوقف.

ج: علامة جواز الوقف.

صلى: علامة على أن الوصل أولى.

قلى: علامة على أن الوقف أولى.

..: للدلالة على جواز الوقف بأحد الموضعين، وليس في كليهما.

س: للدلالة على وجوب النطق بالسين دون الصاد.

وإن وضعت بالأسفل، فالنطق بالصاد أشهر.

فما مدى اعتبار أقوالهم هذه؟! وهل يجب متابعتهم فيها؟!

ثالثاً: إنهم حين يريدون قراءة سورتين يفصلون بينهما بكلمة: «الله

أكبر».. فهل هذا عمل صحيح؟!

رابعاً: وما مدى صحة ما يقال عن المد اللازم الذي يعقبه حرف ساكن،

وأنه يجب أن يصل إلى ست حركات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

أولاً: إن ما يفعله القراء من الوصل بين الآيات هو خلاف ما فعله رسول

الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يتلاءم مع النهي عن القرآن ما بين السور،

الذي أشير إليه في النصوص، والأمور التالية:

ألف: روي عن أم سلمة «رضوان الله تعالى عليها» أنها قالت: «كان

النبي «صلى الله عليه وآله» يُقَطِّع قراءته: آية، آية»^(١).

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٦ ص ٢٠٨ و (الإسلامية) ج ٤ ص ٨٥٦ وسنن النبي

ب: يشير إلى هذا المعنى - ولو جزئياً - رواية محمد بن الفضيل، عن الإمام الصادق «عليه السلام»: يكره أن يقرأ: قل هو الله أحد في نفس واحد^(١).

ج: ورد أيضاً ما يدل على استحباب الوقوف في مواضع معينة، فعن أبي بصير «رحمه الله»، عن أبي عبد الله «عليه السلام» في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ﴾^(٢).

قال: الوقوف عند ذكر الجنة والنار^(٣).

(مع ملحقات) ص ٣٤١ ومسنند أحمد ج ٦ ص ٣٠٢ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٤٨ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٢٥٤ و ٢٥٧ والمستدرک للحاکم ج ٢ ص ٢٣٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٤ وعمدة القاري ج ٥ ص ٢٨٧ وعون المعبود ج ١١ ص ٢٤ والشمال المحمدية ص ١٧١ والمعجم الكبير ج ٢٣ ص ٢٧٨ وسنن الدارقطني ج ١ ص ٣١٠ وشعب الإیمان للبيهقي ج ٢ ص ٣٢٠ و ٤٣٥ و ٥٢٠ والجامع الصغير ج ٢ ص ٣٨٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٧ ص ٥٢ ومجمع البيان (تفسير) ج ١٠ ص ١٦٢ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٣ ص ٤٩٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠ وج ١٥ ص ٢٣ والتسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٢٤ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٨ و ٢٣ وج ٤ ص ٤٦٣ والبرهان للزركشي ج ١ ص ٩٨ و ٣٥٠ و ٤٦٨ وفتح القدير ج ١ ص ١٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٩٨.

(١) الكافي ج ٣ ص ٣١٤ ومرآة العقول ج ١٥ ص ١١٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٦ ص ٧٠ و ١١٤ و ٢٠٧ و (الإسلامية) ج ٤ ص ٧٥٤ و ٧٥٨ و ٨٥٦ ومستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٧٨.

(٢) الآية ١٢١ من سورة البقرة.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٥٧ وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢١٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٦ ص ٢١٧ و (الإسلامية) ج ٤ ص ٨٦٣ ومستدرک الوسائل ج ٤ ص ٢٣٨.

د: قال المجلسي «رحمه الله»: روى الخاص والعام عن أمير المؤمنين «عليه السلام» وابن عباس تفسيره الأمر بحفظ الوقوف، وأداء الحروف.. وفي بعض الروايات: وبيان الحروف^(١).

والمقصود: أن لا يقف على الحركة، ولا يصل بالسكون، فهما غير جائزين. فليس المراد بهذا الكلام: الوقوف التي استحسنها القراء.. لاسيما وأن هذه المصطلحات التجويدية لم تكن في زمان علي «عليه السلام» لكي يتحدث عنها.

هـ: إن من يفهم معاني القرآن: هم أهل البيت «عليهم السلام»، فلا عبرة بما يدّعيه غيرهم من ذلك لنفسه، ويضع الوقوف، ويحدد الجائز والممنوع، واللازم والأولى منها على أساسه..

كما أنه لا عبرة بما ذكروه عن جواز الوقف في بعض المواضع في أحد موضعين لا كليهما.

ثانياً: إذا أخذنا بهذا المبدأ.. أعني مبدأ الوقف على آخر كل آية، فإنه يسري إلى نظام الوقف في وسط الآيات أيضاً، وذلك بتنقيح المناط، حيث إنه إذا أجاز الفصل بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والشرط وجوابه، والمستثنى والمستثنى منه، وكل متلازمين بوقف قصيرة، لكونهما في آيتين

والتيبان (تفسير) ج ١ ص ٤٤٢ وجوامع الجامع (تفسير) ج ١ ص ١٤٥ ومجمع البيان (تفسير) ج ١ ص ٣٧١ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٣١٥ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ١٢٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٢ ص ١٣٢.

(١) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٨.

متتاليتين، فيجوز هذا الفصل بين المتلازمين إذا كانا في آية واحدة..

ونذكر من أمثلة ذلك في الآيات.. الموارد التالية:

١ - ما كان من قبيل الفعل والفاعل قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ (١).

٢ - ومن أمثلة الشرط وجزائه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ (٣).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ (٤).

٣ - وبين المستثنى والمستثنى منه قوله تعالى: ﴿يَوْمٌ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٥).

٤ - وبين إن وخبرها: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ (٦).

٥ - وبين القول، ومقول القول.. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنَّ

(١) الآيتان ٣٦ و ٣٧ من سورة النور.

(٢) الآيتان ٨ و ٩ من سورة المدثر.

(٣) الآيات ٧ - ١٠ من سورة القيامة.

(٤) الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة الواقعة.

(٥) الآيتان ٤١ و ٤٢ من سورة الدخان.

(٦) الآيتان ٤٣ و ٤٤ من سورة الدخان.

هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى ﴿١﴾.

٦ - وبين البذل والمبدل منه، كما قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (٢).

٧ - وبين الجار والمجرور ومتعلقه، كما في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (٣).
والأمثلة في هذا السياق كثيرة.

ثالثاً: بالنسبة لفصل القراء بين السورة السابقة والسورة اللاحقة بكلمة: «الله أكبر» نقول:

إن المصادر التي راجعناها لا تؤيد الفصل بين السورتين بكلمة «الله أكبر»، بل يفهم من روايات أهل البيت «عليهم السلام»، بل وغيرهم أيضاً: أن أي إضافة بعد الآيات، أو بين السور ليست مورد تأييد وقبول..

ويشهد لذلك ويؤيده: وجود روايات تحدد القول المسموح به، أو فقل: ما يستحب قوله بعد قراءة آيات بعينها..

ونذكر من ذلك ما يلي:

١ - ما ورد في الحديث المعروف بحديث الأربع مئة، عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال:

إذا قرأت من المسبحات الأخيرة، فقولوا: «سبحان الله الأعلى»، وإذا

(١) الآيتان ٣٤ و ٣٥ من سورة الدخان.

(٢) الآيتان ٦ و ٧ من سورة الدخان.

(٣) الآيتان ١٧ و ١٨ من سورة الواقعة.

قرأتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(١) فصلوا عليه، في الصلاة كنتم أو في غيرها، وإذا قرأتم: ﴿وَالْتَيْنِ﴾، فقولوا في آخرها: ونحن على ذلك من الشاهدين..

وإذا قرأتم: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾^(٢)، فقولوا: آمنا بالله حتى تبلغوا إلى قوله: مسلمين^(٣).

٢- روى الصدوق «رحمه الله»، عن تميم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن رجاء بن الضحاك: كان الرضا «عليه السلام» في طريق خراسان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرَّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى، وسأل الله الجنة، وتعوذ به من النار.

وكان «عليه السلام» يجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في جميع صلاته بالليل والنهار.

وكان إذا قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال سرّاً: الله أحد. فإذا فرغ منها قال: «كذلك الله ربنا» ثلاثاً.

وكان إذا قرء سورة الجحد قال في نفسه سرّاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، فإذا فرغ منها قال: «ربي الله، وديني الإسلام» ثلاثاً.

وكان إذا قرأ: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾، قال عند الفراغ منها: بلى، وأنا على

(١) الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

(٣) الخصال للصدوق ص ٦٢٩ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ١٠٧ وج ٨٩ ص ٢١٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٤ ص ٢٣٣.

ذلك من الشاهدين.

وكان إذا قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال عند الفراغ منها: سبحانك اللهم وبلى.

وكان يقرأ في سورة الجمعة: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ﴾ «للذين اتقوا» والله خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

وكان إذا فرغ من الفاتحة قال: «الحمد لله رب العالمين».

وإذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال سرّاً: سبحان ربي الأعلى.

وإذا قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: ليك اللهم ليك سرّاً^(١).

٣ - وراجع ما نقله العلامة المجلسي من ذلك أيضاً عن السيوطي في الدر المنثور^(٢).

٤ - عن علي «عليه السلام» أنه قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فقال: سبحان ربي الأعلى، وهو في الصلاة.

ف قيل له: أتريد في القرآن؟!

فقال: لا، إنما أمرنا بشيء فقلته^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٩٤ - ١٩٧ وبحار الأنوار ج ٤٩ ص ٩١ - ٩٥ وج ٨٢ ص ٣٢ - ٣٤ وج ٨٩ ص ٢١٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٦ ص ٧٣ و (الإسلامية) ج ٤ ص ٧٥٦

(٢) بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢٢٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢٢٠ والدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٨ وفتح القدير ج ٥ ص ٤٢٦ وتفسير الألوسي ج ٣٠ ص ١٠٢.

فترى أن علياً «عليه السلام» لم يقل لهم: إن ما قلته يتناسب مع ما أمرت به الآية التي قرأتها، أو أنه أراد الدعاء بقوله هذا، بل قال لهم: إنه قاله امتثالاً للأمر الذي صدر له من قبل من يجب على علي «عليه السلام» امتثال أمره. فدل بذلك على أن هذه الأقوال توقيفية، ولا يكفي اجتهد الأشخاص فيها.

والظاهر: أن مستند القراء في قولهم بين كل سورة «الله أكبر»: هو ما رواه الحاكم في المستدرک قال: حدثنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ الإمام بمكة في المسجد الحرام، ثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ، ثنا أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة قال: سمعت عكرمة بن سليمان يقول:

قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحي قال لي: كبر، كبر عند خاتمة كل سورة حتى تحتم..

وأخبره عبد الله بن كثير: أنه قرأ على مجاهد، فأمره بذلك..

وأخبره مجاهد: أن ابن عباس أمره بذلك..

وأخبره ابن عباس: أن أبي بن كعب أمره بذلك.. وأخبره أبي بن كعب:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره بذلك.

وما ذكرناه فيما تقدم كافٍ لرد هذه الرواية، لاسيما مع وجود الطعن الواضح في بعض رجال سندها.

رابعاً: إذا ثبت أن الوقوف المذكورة هي مجرد اقتراحات.. تستند إلى استحسانات، من أناس ظنوا أنهم قادرون على فهم معاني القرآن، ولا تستند

إلى حجة، ولا تعتمد على برهان.. بل البرهان الوارد عن الأئمة المعصومين «عليهم السلام» ينفيها.. - إذا ثبت ذلك - فإننا نشير أيضاً إلى أن ما زعموه، من أن لديهم قواعد تحدد للقارئ موارد المد اللازم، ومقداره بالحركات التي تختلف بحسب المواضع، فيكون بمقدار ست حركات تارة، وأربع حركات أخرى، وحركتين ثالثة، هو الآخر لا عبرة به..

بل المطلوب هو: إظهار الكلمات بما لها من حروف، وحالات وفق المنهج العربي الشائع بين عامة الناس.. وليس لمقدار الحركات، ولا لأعدادها أي اعتبار في ذلك، ولا حجة فيما يزعمونه فيها.. لأنها ليست صادرة عن المعصوم «عليه السلام»، بل روي: أن رجلاً قرأ على أبي عبد الله «عليه السلام» حروفاً من القرآن، ليس على ما يقرؤه الناس؛ فقال «عليه السلام»: «مه، مه، كف عن هذه القراءة، واقرأ كما يقرأ الناس»^(١).

خامساً: إننا لا نوافق على ما زعموه، من أن بعض الكلمات التي تكتب بالصاد يجب أن ينطقها القارئ بالسين، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾^(٢)..

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤٦٢ ح ٢٣ وبصائر الدرجات ص ١٩٣ والمحجة البيضاء ج ٢ ص ٢٦٣ والوافي ج ٥ ص ٢٧٣ وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٨٨ ومرآة العقول ج ١٢ ص ٥٢٣ وكتاب الصلاة من مصباح الفقيه ص ٢٧٥ والتمهيد ج ١ ص ٢٨٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٦ ص ١٦٣ و (الإسلامية) ج ٤ ص ٨٢١ ومستدرك الوسائل ج ٤ ص ٢٢٦ والفصول المهمة للحر العاملي ج ٣ ص ٣١٥ ونور الثقلين (تفسير) ج ٣ ص ١٧٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٧ ص ٤١٩.

(٢) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾^(١)، فكيف تكتب بالصاد التي لا تقرأ؟!

ولماذا لم تكتب بالسين، مع أن هذه الكلمة «بَسْطَةٌ» قد كتبت بالسين أيضاً، كما في سورة البقرة الآية ٢٤٧؟!

ومن الواضح: أن كتابة كلمة «يَبْصُطُ» بالصاد فيه خروج عن القاعدة في رسم الخط في حروف المباني للكلمة، لأنها مأخوذة من بسط.. فرسمها بالصاد كان تسامحاً من الكتاب الذين كتبوا المصاحف في عهد عثمان، ولم ير المسلمون مصلحة في إعادة الحرف إلى أصله، فأشاروا إلى ذلك الأصل بوضع حرف سين فوق الصاد..

وقالوا: إن كانت السين الصغيرة تحت الصاد، مثل كلمة ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْطِرُونَ﴾^(٢)، فالنطق بالصاد أشهر.. مع أنها مأخوذة من «سيطر» بمعنى تسلط على الشيء، فكيف ولماذا يراد لها أن تنطق بالصاد؟! ولاحظ: أنهم كتبوا قوله تعالى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾^(٣) بالصاد، ولم يضعوا سیناً صغيرة تحتها..

ولعل سبب ذلك:

أنهم لم يريدوا تغيير الرسم الذي كتب به القرآن في عهد عثمان، ولكنهم اجتهدوا فرجّحوا النطق بالكلمة بالصاد تارة، كما في آية الطور، وأوحوا

(١) الآية ٦٩ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٣٧ من سورة الطور.

(٣) الآية ٢٢ من سورة الغاشية.

للقارئ بلزوم النطق بها بالصاد في سورة الغاشية، لأنهم أثبتوها على هذا النحو، ولم يشيروا إلى الترجيح بوضع السين الصغيرة تحت الصاد.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

بيروت - جعفر مرتضى الحسيني العاملي

القسم الخامس

في التراث..

آليات البحث التاريخي والفقهى

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

ما هو الفرق بين البحث التاريخي، ولا سيما فيما يرتبط بسلوك الأشخاص،

وبين البحث الفقهي لإستنباط الأحكام؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإننا نجيب على هذا السؤال بما يلي:

أولاً: إن الغاية من البحث في الأحكام تفرض تحصيل الحجة القاطعة

للعذر فيها نفيًا أو إثباتاً.. وينعكس ذلك على مقام العمل والممارسة، من حيث

جواز التعبد والإلتزام بالحكم، وحصول الأمن من العقوبة، وتحصيل المثوبات

عليه، أو التعرض للغضب الإلهي، واستحقاق المقت، والطرْد، والحرمان من

الأنطاف والرحمات، لو تركه عن عمد واستخفاف.

وربما كان ما يؤدي إلى المثوبة أو العقوبة هو نفس الإلتزام القلبي بالشيء، أو نسبة الحكم أو الأمر إلى الله تعالى، أو إلى أنبيائه ورسله، وإلى الأئمة الذين جعلهم ناطقين عنه، وهداة إليه، وأدلاء على سبل نيل رضوانه..

وهذا الواقع قد فرض على الإنسان الإلتزام بضوابط توفّق بين الغايات، وبين وسائل الوصول إليها، وكيفيات التعاطي معها.

وكان منها - على سبيل المثال لا الحصر -:

١ - عدم جواز نسبة شيء إلى الشرع والدين ما لم يُعلم بالحجة القاطعة للعدر أنه منه.

٢ - لكن يجوز العمل بما يحتمل أنه من الشرع إذا بلغه - ولو بسند ضعيف - ثواب عليه، فيأتي العامل به برجاء المطلوبة، شرط عدم نسبته إلى الدين، ما دام لم يثبت بالدليل المعتبر أنه منه.

هذا إن لم نقل: إن أخبار من بلغ تفيد استحباب ما ورد الوعد بالثواب عليه. فظهر بذلك: أن المعيار في الأمور الفقهية: هو الحجة المعتبرة على الإثبات أو النفي.

ثانياً: بالنسبة إلى القضايا التاريخية، مثل ما جرى على السيدة الزهراء «عليها السلام»، فيلاحظ: أن الغاية من البحث فيها تختلف عن الغاية من البحث في الأحكام بنحو أو بآخر، فإن المطلوب قد لا يكون هو تحصيل الحجة القاطعة على حصول الشيء، وقد يكون المطلوب أيضاً الإلتزام بشيء تجاه النتيجة التاريخية، ولو مثل تحديد طبيعة العلاقة مع من صنع الحدث، أو

مع المشاركين فيه، والمالمئين عليه، لكي تكون علاقة ولاء وحب وطاعة،
واقترءاء، وانصهار وانبهار؟!

أو هي علاقة رفض وتبرُّ، وعداء؟!

أو هي علاقة ثقة واعتماد؟!

أو هي علاقة ريبة وحذر، وتجنب لمواضع الخطر، والضرر، ولاسيما فيما
يرتبط بقضايا الدين، ومصادر أخذها، وحفظ نظام الأمة، وغير ذلك؟!

فإن كانت حالة عداء، ونفور، وبراءة، فلا بد من أن يثبت منشؤها
بمبرر وحجة، لكي يتحدد نوع التعامل، وطبيعة الموقف، بالإستناد إليه..

وكذلك الحال إذا كانت العلاقة علاقة حبٍّ وولاء، وطاعة، واقترءاء،
فلا بد من إثبات مبررات الإلزام بهذا الحب، وبهذه الطاعة، واستحقاق هذا
النوع من الطاعة بالبراهين الساطعة، والقاطعة للعدر، ولو كانت من نوع
المعجزة، التي تفرض البخوع والخضوع المطلق لمضمونها.

وإن كانت العلاقة المطلوبة هي علاقة الثقة والاعتماد، فلا بد من تلمّس
مبرراتها أولاً، وإثباتها بنحو مقنع ومقبول ثانياً.

وإن كان المطلوب هو الحذر، والتحرز، وتحصيل الإطمئنان إلى السلامة
من الأخطار والأضرار، فإن الشارع قد أمضى حكم العقل بلزوم الحذر في
موارد كهذه، إذا كان احتمال الضرر أو الخطر يعتدُّ به عند العقلاء.

وعطفاً على ما تقدم نقول ما يلي:

أولاً: إن موارد لزوم الولاء والطاعة قد تكفَّل الشارع الحكيم بالإعلان
عنها، وتعريف الناس بها، بالطرق اليقينية، كالمعجزات، والإخبار عن الغيب،

وظهور العلم الخاص الذي لا يحصل البشر عليه بالطرق العادية، وغير ذلك. فالبحث إنما يكون في هذا المورد في هذه الدائرة.. ويجب أن ينتهي إلى النتيجة المتوخاة..

ثانياً: بالنسبة لعلاقة الرفض والبراءة، والعداء، نقول:

إن الشارع الحكيم قد تكفل أيضاً ببيانها، حيث وضعها ضمن عناوين واضحة وصریحة، ومحددة.. فلم يُجْز مثلاً تولي الكافرين، أو معونة الظالمين، والضالين، والجاحدين، والذين يحاربون الله ورسوله، وغير ذلك.. وترك للناس مهمة التعرف على أشخاص هؤلاء وأحوالهم من خلال تصرفاتهم ومواقفهم، وغير ذلك.

ثالثاً: بالنسبة لعلاقة الثقة والاعتماد نلاحظ: أنه أيضاً قد وضعها ضمن عناوين يحتاج البشر إلى التعرف عليها، من حيث توفرها أو عدمه في الأشخاص الذين يريدون التعامل معهم، وأرشد إلى وسائل الحصول على هذه المعرفة، فنلاحظ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾^(١)، فإن من السداجة غير المبررة الإستهانة لمن يخالفك في الدين، ويرى أنك لا حرمة لك، ولا لمالك، ولا لعرضك، ويجيز لنفسه العدوان عليك، وكل ما يعود إليك. وكذلك الحال في قوله «عليه السلام»: «لم يخنك الأمين، ولكنك اتهمت الخائن».

ولأجل تحصيل هذا الاعتماد اشترطت العدالة في الشهادة، وفي القضاء،

(١) الآية ٧٣ من سورة آل عمران.

وفي إمام الجماعة، وغير ذلك.. واشترط التبين والتثبت في الأخبار المنقولة إليك.. ولا يختص ذلك بالمؤمن، بل يعمُّ المؤمن العادل والفاسق، والموافق في المذهب وغير الموافق.. واشترط الصدق في من تريد أن تكون معه، فقال:

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١)..

وأمثلة ذلك كثيرة لا يكاد يمكن إحصاؤها.

ويلاحظ: أن الشارع الحكيم لم يصعب الأمور في تحصيل ما يمكن أن يكون سبباً للإعتماد في مثل هذه الموارد، إذا كان الأمر يرتبط بالأمور الشخصية والعادية التي يوجب تصعيبها إرباكاً، واختلالاً في حياة الناس.. فاكتمى مثلاً بحسن الظاهر للاستدلال به على الباطن، وجعل سوق المسلمين علامة على حلية أو طهارة ما يطلب فيه ذلك.. واكتفى بحمل فعل المسلم على الصحة، بسؤال أهل الخبرة، ونحو ذلك.. مما شأنه تيسير الأمور وانتظامها، وقد أشار تعالى إلى هذا التيسير، فقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢).

رابعاً: بالنسبة للأمور التي وجب فيها الحذر، وهي الأمور المهمة التي يوجب الإخلال فيها خطراً على الإنسان، أو على دينه، وآخرته، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣).. فحرّم الإقدام على كل ما يحتمل فيه الخطر والضرر الذي لا يقدم عليه العقلاء..

ومن موارد ذلك: الإعتماد والأخذ بمن ظهرت فيه الاختلالات في أمور

(١) الآية ١١٩ سورة التوبة.

(٢) الآية ١٨٥ سورة البقرة.

(٣) الآية ١٩٥ سورة البقرة.

الدين والسلوك، فلم يجز له أخذ معالم دينه وحقائقه منه، فإنه إن لم تثبت أهليته للإعتماد عليه والثوق به، فإنه يكون اعتماداً على فاسد، ومفسد، يخشى منه أن يحرف الدين، ويغير حقائقه، ويتلاعب بنصوصه، بحيث تتناسب مع مصالحه وأهوائه، وأهدافه التي يحتمل أن تكون شريرة وهدامة..

كما أن طاعته قد تؤدي إلى الإطاحة بمصلحة الدين والأمة، وهدم مستقبلها، وإشاعة الفساد والمنكرات فيها، وتقويض كيائها، في الدنيا والآخرة..

وهذا أمر عظيم، وخطر هائل، لا بد من تجنبه بكل حيلة ووسيلة، ولا يجوز الإقدام عليه عاقل، بل ولا عالم أو جاهل، لأنه يؤدي إلى الإطاحة بالغايات الإلهية، وإبطال جهود الأنبياء، والأوصياء، والأولياء والعلماء، وتضييع دماء الشهداء..

وأدنى احتمال لهذا الأمر يدعو للحذر، ويحتم تجنب الخطر. لأن القضية لا تقتصر على التعرض لتعب يسير، أو مرض يعرض لشخص، أو خسارة مالية، أو تلف للمزروعات، أو عاهة في الأشجار والثمار، أو تلوث في المياه والأنهار، أو غير ذلك..

بل تتعدى ذلك كله إلى خسارة الدين، والقيم، والأخلاق، والدمار، والبوار للسعادة في الدنيا والآخرة..

وواضح: أن احتمال حصول هذا الأمر مهما كان ضعيفاً، يكون منجزاً لوجوب الحذر، ويحتم موقفاً عملياً جازماً وحازماً في الابتعاد عن كل ما يوجهه.

ونذكر على سبيل المثال: أن من يحتمل أن يكون قد أغضب الزهراء «عليها السلام»، التي يوجب غضبها غضب الله، أو تجرأ على الله، وعلى أوليائه،

وأوصيائه.. فيتحتّم تجنب الأخذ منه، والإبتعاد عنه، ويجب الحذر منه.. إلا أن يزول هذا الإحتمال من أساسه بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

فظهر: أن الخبر الضعيف، والمرسل الذي يوجب احتمالاً من هذا النوع ينتج لنا حكماً عقلياً إلزامياً بالمنع من الطاعة والإنقياد له، فضلاً عن بلوغ درجة الحب والولاء، والمعونة، والإنتماء، وغير ذلك مما يتوقف على ثبوت مبرراته، ومقتضياته على نحو القطع واليقين..

وأن لم يوجب ذلك بمجرد البغض والعداوة، ولزوم الإشهار بالبراءة. وهل يتحقق هذا الثبوت، ويمكن حصول هذا اليقين مع احتمال صدور أي اهانة، أو استهانة منه بأولياء الله، وأئمة الهدى، والأدلاء على الحق؟! ولا يحصل اليقين بعدم صدور ذلك منه، لمجرد ضعف السند، أو ضعف الإحتمال، أو إثارة أي شبهة في الثبوت، بل لا بد في مثل هذه الأمور الحساسة من ثبوت العدم، والنفي القاطع لكل ريب، والنافي للإحتمال، مهما كان ضعيفاً.

فإن لم يمكن ذلك، فلا يجوز ترتيب آثار الإنتفاء، لأنه لم يتحقق في من أصبحت تحوم حوله الشبهة، وصار في موضع التهمة.

فاتضح مما ذكرناه: الفرق بين البحث في ثبوت الأحكام الفقهية، وبين البحث في الشأن التاريخي، ولا سيما إذا كان مرتبطاً بالدين، أو بالأنبياء، والأوصياء، والأولياء المعصومين.

فلا يكفي مجرد حسن الظن بمن يحتمل صدور الإساءة منه لترتيب آثار ثبوت الصلاح، والفلاح، إلا فيما لا يمسّ الدين، ولا ربط له، ولا خطر منه

على مستقبل الناس، والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة..

أما المناقشة في صحة نسبة بعض الكتب إلى مؤلفيها، لوجود بعض الإشتبهات فيها، أو لأي سبب كان، فلا تثبت أن مضامينها مكذوبة، أو محرفة. كما أن وجود الرواية أو الخبر - اتَّحد أو تعدد - في مصادر يعلم أن مؤلفيها يوالون من تنسب إليه تلك السقطات والإساءات مع ظهور حرص أولئك المؤلفين على تنزيه المتهمين وتبرئتهم، والدعوة إلى موالاتهم، بل إلى تقديسهم، يمثل قرينة تقوِّي احتمالات صدور تلك السقطة، أو الإساءة ممن تنسب إليهم، ولو لم يصل الأمر إلى درجة اليقين..

وتتأكد التهمة إذا كان بعض أولئك المؤلفين الموالين لمن ينسب إليه ذلك إذا أوردوا الرواية في مؤلفاتهم.. ولم يعلنوا رفضهم لها، بالدليل.. لأن ذلك يكون بمثابة اعتراف بمضمون تلك الرواية، حتى لو كانت منقولة بأسانيد مطعون في صحتها عند ذلك الفريق..

فمثلاً نحن نعلم: بأن صاحب كتاب فرائد السمطين قد أورد في كتابه بعض ما ذكره الشيخ الصدوق في كتبه، مما يتضمن ما لا يروق لمؤلف كتاب الفرائد من الناحية الاعتقادية.. ولم يعقّب عليه بما يبطله، فأيراده له على هذه الحال يعني - على الأقل -: أنه لا يملك ما يصح الاعتماد عليه في إبطال مضمون ما ينقله..

ولنفترض جدلاً - وفرض المحال ليس محالاً -: أن رواية ضرب الزهراء «عليها السلام»، وكسر ضلعها منحصرة بكتاب سليم بن قيس، فإن ذلك لا يعني أن الرواية مكذوبة، وإن كانت غير معتبرة، بسبب ضعف سندها، أو

لأي سبب آخر، فإن عدم اعتبار الرواية، إنما يمنع من حصول اليقين بوقوع مضمونها، ولا يرفع احتمال وقوعه، ووجوب الحذر، كما تقدم.

ولماذا يصر بعض الناس على ادّعاء نسبة الكذب إلى الشيعة في موضوع ضرب الزهراء «عليها السلام»؟!

ولماذا يتجاهلون حقيقة: أن عشرات المصادر لغير الشيعة الإمامية قد ذكرت مظلومية الزهراء.. فإذا ضُمَّت إلى روايات الشيعة، فإنها قد تصل إلى المئات.. فلماذا لا يريدون الاعتراف حتى باحتمال حدوث شيء من مضامينها، مع أن البخاري - وهو كما يدّعي البعض - أصحّ كتاب بعد القرآن يصرح: بأن فاطمة «عليها السلام» ماتت وهي واجدة على أبي بكر؟!

فلماذا يطلب منّا هؤلاء: أن نبرئ أبا بكر من فعل ما أوجب وجد الزهراء عليه، وغضبها منه، حتى لو كان وجدها لأجل قضية فذك، وتكذيبه لها في قولها: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نحلها إياها، مع تصريح القرآن بطهارتها، وعصمتها؟!

ولماذا يطلب منّا: أن نتولى، ونطيع، ونعترف بصواب، وصحة أفعال هذا الرجل، وأن نأخذ معالم ديننا منه، مع احتمال أن يكون قد أغضب من يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها، ومات على تلك الحال؟!

ويمكن للسائل الكريم أن يجد طرفاً من مظلومية الزهراء «عليها السلام» في المصادر التالية، التي تزيد على أربعين مصدراً، وليست هي من مصادر الشيعة الإمامية:

- ٢ - المغني للقاضي عبد الجبار: ج ٢٠ ق ١ ص ٣٣٥.
- ٣ - الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٥٧.
- ٤ - الفرق بين الفرق للبغدادى: ص ١٤٨.
- ٥ - الخطط للمقريزي: ج ٢ ص ٣٤٦.
- ٦ - الوافي بالوفيات للصفدي: ج ٦ ص ١٧ و ج ٣ ص ٣٤٤ و ج ١٧ ص ٣١١.
- ٧ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٢ ص ٦٠ و ج ١٦ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٧١ و ج ١٤ ص ١٩٣ و ج ٦ ص ٤٩ و ٥٠.
- ٨ - أعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج ٤ ص ١٢٤ و ١١٤.
- ٩ - الأرجوزة المختارة للقاضي النعمان الإسماعيلي: ص ٨٨ و ٩٢.
- ١٠ - فرائد السمطين للحمويني الشافعي: ج ٢ ص ٣٤ و ٣٥.
- ١١ - إثبات الوصية للمسعودي: ص ١٤٣.
- ١٢ - كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٤١٣.
- ١٣ - البدء والتاريخ للمقدسي: ج ٥ ص ٢٠.
- ١٤ - فاطمة بنت رسول الله، لعمر أبي النصر المصري: ص ٩٤.
- ١٥ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: ص ٢٥ و ٢٦.
- ١٦ - ميزان الاعتدال للذهبي: ج ١ ص ١٣٩.
- ١٧ - لسان الميزان للعسقلاني: ج ١ ص ٢٦٨ و ٢١٨.
- ١٨ - سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ١٥ ص ٥٧٨.
- ١٩ - تسديد العقائد لشمس الدين الإسفراييني.

- ٢٠- شرح التجريد للقوشجي (ط حجرية): ص ٤٨٢ و ٤٨٣.
- ٢١- يحيى بن محمد العلوي البصري (أستاذ المعتزلي، حسب نقله عنه في شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ١٦ و ١٧).
- ٢٢- النقض لعبد الجليل القزويني: ص ٢٩٨ و ٣٠٢.
- ٢٣- ديوان حافظ إبراهيم المصري: ج ١ ص ٧٥.
- ٢٤- مروج الذهب للمسعودي: ج ٣ ص ٨٦.
- ٢٥- المعارف لابن قتيبة (راجع مأساة الزهراء ج ٢ ص ١٩٨).
- ٢٦- الشافي لابن الحمزة الزبيدي: ج ٤ ص ٢٠٢ و ١٧٣ و ١٧١.
- ٢٧- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٢٧.
- ٢٨- الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني: ج ٤ ص ٣٧٩.
- ٢٩- منتخب كنز العمال: (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج ٢ ص ١٧٤.
- ٣٠- المصنف لابن أبي شيبه ج ١٤ ص ٥٦٧.
- ٣١- نهاية الأرب للنويري: ج ١٩ ص ٤٠.
- ٣٢- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) لأبي عمر القرطبي: ج ٢ ص ٢٥٤ و ٢٥٥.
- ٣٣- كنز العمال للمتقي الهندي: ج ٥ ص ٦٥١.
- ٣٤- روضة المناظر لابن شحنة (مطبوع بهامش الكامل) ج ٧ ص ١٦٤ و ١٦٥.
- ٣٥- أنساب الأشراف للبلاذري: ج ١ ص ٥٨٦.

- ٣٦- الرياض النضرة: ج ١ ص ١٦٧.
- ٣٧- تاريخ الخميس للديار بكري: ج ١ ص ١٧٨.
- ٣٨- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ج ٤ ص ٢٥٩ و ٢٦٠.
- ٣٩- المختصر في أخبار البشر لابن الوردي ج ١ ص ١٥٦.
- ٤٠- تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج ٣ ص ٢٠٢.
- ٤١- الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود المصري: ج ١ ص ١٩٠ و ١٩١.
- ٤٢- صحيح البخاري..
- وغير ذلك كثير..

أما المصادر الشيعية، فحدّث عنها ولا حرج، وهي كثيرة جداً، كما يظهر من كتابنا: مأساة الزهراء «عليها السلام»، خصوصاً الجزء الثاني منه.. مع أننا لم نستقص جميع المصادر حول هذه القضية.

على أن نفس أن تكون هذه المسألة بالذات موضع أخذ ورد في المناظرات والإستدلالات، والإستدلالات المضادة في الكتب الكلامية، وتدوينها في كتب الملل والنحل، والأنساب، والتاريخ، والحديث، والشعر، وكتب الأدب، وغيرها.. يدل على ما نقوله، فالموضوع يتجاوز حدّ الإحتمال الظني، ومحاولة إنكاره قد جاءت في أحيان كثيرة مشوبة بالمكابرة والجحود، والتجني.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

بيروت

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

التراث الشيعي في العهد العثماني

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسم: علي

النص: السلام عليكم شيخنا..

أريد أن أسأل عن مؤلفات العلماء في الدولة العثمانية، وأقصد بها علماء المذهب الجعفري، حيث لم ألقَ أي مؤلف، وأتمنى أن تقول لي: ما هي هذه المؤلفات؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

بالنسبة لسؤالك عن التراث العلمي للشيععة في العهد العثماني، أقول:
لو رجعت إلى المكتبات العامة، ولا سيما في العراق، وإيران، ولبنان..
لوجدت المئات، بل الألوف من المؤلفات لعلماء الشيعة، الذين عاشوا في
عهد الحكم العثماني، فضلاً عن غيره، ولو سافرت إلى إيران، واطلعت على
فهارس بعض مكتباتها العامة، التي تعد بالمئات، لرأيت العجب العجيب،
ولأغناك ذلك عن الطلب من هذا أو ذاك.. لاسيما وأن هذا الطلب سيكون
مستهجنًا لدى الجميع، إذ لا يتوقع أحد أن يكون في هذا العصر الذي تتوفر

فيه وسائل المعرفة بهذا المقدار من لا يعرف أن لدى الشيعة في العهد العثماني الذي فيه مئات السنين: مؤلفين، أو علماء، ومفكرين، وما إلى ذلك..

أما أنا، فإنني لا أستطيع أن أصدق ذلك، فسأعتبر رسالتك هذه مجرد مزحة، أردت الترفيه عن نفسك من خلال إظهار هذا القدر من البراءة.

وفي الختام: أرجو لك التوفيق لكل خير، وأن يجنبك كل سوء وشر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

٢٣/٢/١٤٤٠ هـ. ق ٢/١١/٢٠١٨ م. ش.

سؤال حول الرسالة الذهبية

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

فقد ورد إلينا سؤال من بعض الأخوات يقول:

إن ما ورد في الرسالة الذهبية في كتاب بحار الأنوار ج ٥٩ ابتداءً من الأسطر الأخيرة من ص ٣١١ إلى أواخر ص ٣١٤ قبل نهايتها بثلاثة أسطر، هل هو من قول العلامة المجلسي، أو من زيادات الراوي، أو الكاتب، أو من خلط الروايات ببعضها، أو هو جزء من الرسالة نفسها، فتكون من قول الإمام الرضا «عليه السلام».

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

- ١ - إن هذه الصفحات الثلاث جزء من الرسالة، ومن قول الإمام «عليه السلام»، ويدل على ذلك: أنه «عليه السلام» قال في آخر ص ٣١١: إنه سيذكر من أقاويل القدماء، ما ينبغي ذكره من تدبير فصول السنة، وشهورها الرومية، وما يستعمل من الأطعمة والأشربة، وما يجتنب، وكيفية حفظ الصحة.
- ٢ - ثم وعد أن يذكر بعد ذلك، ما يقوله الأئمة من آبائه «عليهم السلام»

في صفة شراب يحل شربه، ويستعمل بعد الطعام.

٣- وقد انتهى من ذكر ما يقوله القدماء حول فصول السنة، في أواخر ص ٣١٤ قبل آخر هذه الصفحة بثلاثة أسطر، ثم شرع في ذكر الشراب الذي هو عن الأئمة «عليهم السلام»، وسائر النصائح، والبيانات التي تضمنها كلامه «عليه السلام».

٤- ويبدو لنا: أنه «عليه السلام» بعد أن سمع ما قاله المجتمعون في ذلك المجلس، وكان يعلم أنهم إنما يخبرون عما يقوله القدماء، ولم يجد أن فيهم من يستوفي الحديث في ذلك على حقيقته، بل فيهم من يزيد، وفيهم من ينقص، ومن يغير ويبدل.. فأحب أن يقدم لهم ما يصحح، أو يتمم، أو يزيل التحريف، أو يستبعد المضر، أو ما لا نفع له، وغير ذلك مما وجد بيانه نافعاً.

٥- ثم عاد ليذكر لهم ما هو أنفع، وأولى بالإعتماد، وهو ما ذكره الأئمة من آبائهم «عليهم السلام» مما يصلح الأبدان، ويرضي الرحمان، كما ظهر من نص الرسالة الذهبية.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

١٩ تشرين الثاني سنة ٢٠١٨ م ش.

١١ ربيع الأول سنة ١٤٤٠ هـ ق.

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

القسم السادس

فقته..

زواج المتعة

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

يوجد رواية في التهذيب عن الحسين بن علوان في تحريم المتعة، اتخذها البعض سبباً للفتنة بين المؤمنين في بعض البلاد.

ما هو ردكم عليها، غير تضعيف الحسين بن علوان، مع وجود من لا يضعفه في علمائنا؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

سماحة العلامة الجليل الأخ السيد محمد الموسوي دام تأييده.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن الرواية المشار إليها هي التالية:

عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عن علي «عليه السلام» قال: «حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية، ونكاح المتعة»^(١).

وتفصيل الكلام في هذه الرواية مما لا يسعه الجواب هنا، فلا بد من الإقتصار على ما يلي:

أولاً: إن توثيقات المتأخرين، أو بعضهم إنما هي اجتهادية بحثة، فلا بد من النظر في مناشئها، ومبرراتها.

ثانياً: إن هذه الرواية، وإن أوردتها بعض علماء الشيعة في بعض كتبهم، لكنها ليست من روايات الشيعة الإمامية، بل هي من روايات غيرهم، من الزيدية، أو أهل السنة.. والشيعة الإمامية ينقلون في كتبهم روايات غيرهم، لأسباب مختلفة.. وهي ضعيفة عند السنة والشيعة الإمامية، بالحسين بن علوان، وعمرو بن خالد.

ومن المعلوم: أن الجرح مقدم على التعديل، فكيف إذا كان التعديل اجتهادياً، صادراً من بعض المتأخرين.. ولم يمكن موافقتهم على مبررات اجتهاداتهم؟!

١ - فأما الحسين بن علوان، فقد قال عنه النجاشي، والكشي، والشيخ الطوسي: إنه من رجال العامة^(٢).

(١) تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي، ج ٧ ص ٢٥١ والإستبصار ج ٣ ص ١٤٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢١ ص ١٢ و (الإسلامية) ج ١٤ ص ٤٤١.

(٢) راجع: الإستبصار ج ١ ص ٥٦٥ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٩٨ وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ٢ ص ٦٨٧ ورجال النجاشي ص ٥٢ وخاتمة المستدرك

- ٢ - وأما عمرو بن خالد، فقد قال عنه أحمد بن حنبل: كذاب^(١).
- وقال العسقلاني: متروك، رماه وكيع بالكذب، وبأنه يضع الحديث، كما عند الذهبي^(٢)..
- وكان هذا الرجل بترياً زيدياً^(٣)، بل هو من رؤساء الزيدية^(٤)، وليس إمامياً.
- وعده الكشي في ترجمة محمد بن إسحاق، في رجال العامة، كما ذكر بعضهم^(٥).
- والإمامية وإن كانوا يأخذون بروايات الثقات من المسلمين من غير مذهبهم.
- ولكن الأمر في هذه الرواية لا يسمح بأمرين:
- أولهما: أن يقال: إن رواية الرواية هم من الإمامية..
- الثاني: أن يدعى إمكان الاعتماد على هذه الرواية، لوثاقة رجالها، لاسيما
-
- ج ٤ ص ٣١٤.
- (١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٥٧
- (٢) راجع: تقريب التهذيب ج ١ ص ٧٣٣ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٥٧ وراجع: تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٤.
- (٣) راجع: رجال الكشي، والأبواب (رجال الطوسي) ص ١٤٢ والإستبصار ج ١ ص ٦٥ و فرق الشيعة ص ٥٨ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٩٦.
- (٤) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص ٢٣١ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ٢ ص ٤٩٨.
- (٥) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص ٣٩٠ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ٢ ص ٦٨٧.

بالنسبة لأهل السنة، لأنهم هم أيضاً قد طعنوا في بعض رجال السند، كعمرو بن خالد.

ثالثاً: إن هذه الرواية تدل على أن زواج المتعة كان حلالاً، وتدّعي: أنه نسخ يوم خيبر، وحيث إن حليّة زواج المتعة ثابتة بالقرآن في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^(١).

وبالأحاديث الصحيحة المروية في مختلف مصادر المسلمين، على اختلاف مذاهبهم، وهي أيضاً متواترة، وثابتة بالإجماع أيضاً..

وإنما يدّعي فريق من المسلمين نسخ هذا الحكم، لكن روايات النسخ لا تقوى على إثباته للإختلاف والتعارض الشديد جداً بين تلك الروايات مع بعضها البعض في وقت وزمان النسخ، وفي مكانه، وفي أمور أخرى ذكرناها في كتابنا: «زواج المتعة»، وكما أن هذه الرواية الضعيفة سنداً، والتي هي خبر واحد، لا تقوى على معارضة الروايات الكثيرة الصحيحة والمتواترة.

رابعاً: إن الشيخ الطوسي نفسه، وهو الرواي لهذه الرواية الضعيفة قد حملها على التقية، على تقدير التسليم بصدورها عن الإمام.

خامساً: إن أحمد بن حنبل، والشافعي، وأكثر أصحابه، وكثيراً من علماء أهل السنة يقولون: إن السنة لا تنسخ القرآن^(٢)، حتى لو كانت هذه السنة

(١) الآية ٢٤ من سورة النساء.

(٢) المستصفى للغزالي ج ١ ص ١٢٤ وفواتح الرحموت (بهامشه) ج ٢ ص ٧٨ والإحكام للآمدي ج ٣ ص ١٣٩ ونهاية السؤل للأسنوي ج ٢ ص ٥٧٩ و ٥٨٠ متناً وهامشاً، وراجع: ج ٤ ص ٤٥٧ وإرشاد الفحول ص ١٩١ وقال: وبه جزم الصيرفي والخفاف،

متواترة^(١)، فكيف إذا كانت خبراً واحداً ضعيفاً كهذه الرواية؟!^(٢).

وبهذا قال الشافعي وأصحابه، وأكثر أهل الظاهر..

كما أن خبر الواحد لا ينسخ المتواتر، فإن الثابت قطعاً لا ينسخه المظنون^(٣).

سادساً: لم يكن هناك مجال في خيبر للتمتع بالنساء - كما صرح به فريق من علماء السنّة - لا قبل الحرب، ولا بعدها، لا بالمشركات، ولا باليهوديات، ولا بالمسلمات..

أما المسلمات، فلم يكن لهن وجود في تلك المنطقة..

وأما الشركات، فكذلك، لأن سكان تلك المنطقة كانوا من اليهود، فإن وجدت شركات، فيفترض أن يكون لهن ارتباط باليهود زواجاً، أو خدمة أو تعامللاً، فلا مجال للسماح بالتمتع بهن - إن وجدن - لأن ذلك يمكنهن من الاطلاع على أحوال المسلمين، وتجهيزاتهم، ومواقعهم، وغير ذلك.. ونقل ذلك لليهود، فيستفيدون منه في حربهم ضد المسلمين..

على أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن نكاح الشركات، وعن الإمساك بعصم الكوافر، وقد ورد ذلك في القرآن.

وأصول السرخسي ج ٢ ص ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ ولباب التأويل للخازن ج ١ ص ٣٤٣.

(١) الإحكام في أصول الأحكام ج ٣ ص ١٣٩ والبحر المحيط للزركشي ج ٣ ص ١٨٦.

(٢) إرشاد الفحول ص ١٩٠ والمحصول للرازي ج ٣ ص ١١٢ وج ٤ ص ٤٣٨.

وعمدة القاري ج ١٣ ص ٢٤٤ والبحر المحيط للزركشي ج ٣ ص ١٨٦.

(٣) الإحكام ج ٣ ص ١٣٩ وراجع: عون المعبود ج ٥ ص ١٥٢ والبحر المحيط للزركشي

ج ٤ ص ٤٨٠.

وأما نساء اليهود، فلم يكن النبي يسمح للمسلمين بالتمتع بهن في هذا الظرف، لأن ذلك يقضي بالسماح لهن بالدخول بين المسلمين، لأن ذلك إن كان قبل فتح حصونهم، فإن السماح لنساء الأعداء بالدخول إلى معسكر المسلمين يمكن العدو من جمع المعلومات التي تفيده في حربه لهم، كمعرفة عددهم، ونوع ومقدار عدتهم، ومواقع قادتهم، والثغرات التي يمكن النفوذ منها إليهم، ونوع ومقادير مؤنهم وغير ذلك..

وإن كان ذلك بعد الفتح، فإن المقاتلين يستغنون عن زواج المتعة بالسبايا، إن كان هناك سبايا.. وإن لم يكن، فإن النبي لا يسمح بهذا الزواج أيضاً، لأن الحرب إذا انتهت، فلا يبقى مبرر للبقاء، فلا بد من الرحيل..

ومن المعلوم: أن هذا الزواج قد ينشأ عنه حمل لدى كثير من تلك النساء، وستكون ولاداتهم بعد رحيل ذلك الجيش بأشهر عديدة.. وسيصعب تحديد آبائهم الذين ربما لم يمشوا مع تلك الزوجات سوى ساعة، أو أقل، أو أكثر، أو سواد ليلة على أبعد تقدير.. وستنشأ عن ذلك اختلالات كثيرة وكبيرة ترتبط بالأنساب، والحقوق، والموارث، وغير ذلك.

فذلك يقتضي المنع التدبيري، والمصلحي الموقت من الحاكم ليصون حقوق الناس، وأنسابهم وسواها.

ولكن هذا المنع ليس نسخاً لحكم شرعي، بل هو إجراء سلطوي مؤقت من قبل ولي الأمر، دفعاً لبعض المشاكل التي يمكن تلافيها بهذا الإجراء.. ويشهد له: أنه أضاف إلى المتعة: النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية، التي نعلم أنها لا تزال حلالاً إلى يومنا هذا، لأن نهيه عنها كان، لأن الجيش

بحاجة إليها في تنقلاته.

وهذا يشبه قول الإمام الصادق «عليه السلام» لأصحابه: «هبوا لي المتعة في الحرمين»^(١).

سابعاً: إننا نعلم: أن أكل الحمر الأهلية، أو الأنسية ليس حراماً إلى يومنا هذا، بل هو مكروه، وهذا يدل على أن النهي عن أكل لحومها في خير لم يكن نهي تحريم، بل كان منعاً للناس من الإمعان فيها، لأنهم كانوا بحاجة إليها في سفرهم ذاك لركوبها في طريق عودتهم، ولتحمل لهم أثقالهم وأمتعتهم.. بالإضافة إلى ما يحصلون عليه من غنائم، وسواها.. فهو أيضاً منع تدبيري، وليس نسخاً لحكم جواز أكل لحومها..

وهذا قرينة أيضاً على أن المنع عن زواج المتعة كان اجراء حكومياً، ولم يكن نسخاً لحكم شرعي، لأنهما - أعني زواج المتعة، وأكل لحوم الحمر الأهلية - قد منع عنهما بكلمة واحدة، هي كلمة «حرّم»، فدعوى اختلاف الحكم في متعلق «حرّم» تحتاج إلى إثبات.

ثامناً: إن مما يدل على ما قلناه: أنهم يدعون وجود روايات على نسخ هذا الزواج عدة مرات بعد غزوة خيبر. وفي أماكن ومناسبات كثيرة، فإن غزوة خيبر كانت في شهر محرم سنة سبع، وهم يتحدثون عن روايات نسخ:

١ - في عمرة القضاء، وهي في شهر ذي الحجة سنة سبع.

٢ - في فتح مكة.. سنة ثمان.

(١) خلاصة الإيجاز للشيخ المفيد ص ٥٨ وبحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٣١١ ورسالة المتعة للشيخ المفيد ص ١٥ ومستدرک الوسائل ج ١٤ ص ٤٥٦.

٣- في أوطاس.. سنة ثمان.

٤- في حنين.. سنة ثمان.

٥- في تبوك.. سنة تسع.

٦- في حجة الوداع.. سنة عشر.

فإن ذلك كله يدل على أن النهي في خير، وفي عمرة القضاء، وحنين، وتبوك، وأوطاس، وفتح مكة، وحجة الوداع لم يكن نهي تحريم ونسخ، بل هي إجراءات لمنع حدوث بعض المشكلات التي ترتبط بالأنساب، والمواريث، والحقوق، وغيرها.. بسبب عدم معرفة نتائج ذلك الزواج بسبب الرحيل السريع جداً من المنطقة، ثم التفرق في البلاد، والأحياء، والقبائل، لجيش يعدُّ بالمئات والألوف، حسبما ألمحنا إليه.

وبعد.. فلو أن أهل السنة حملوا تحريم عمر بن الخطاب المتعة على أنه كان إجراء من حاكم يريد أن يمنع من حدوث مشكلات توهم هو حدوثها، ولم يكن نسخاً لحكم ثابت في الشرع والدين، لكان أولى من القول: بأنه غير حكم الله، وأدخل في الدين حكماً ليس منه.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً) جبل عامل لبنان.

١٧/٤/١٤٣٩ هـ.ق. ١٥/١/٢٠١٨ م.ش.

جعفر مرتضى العاملي

صلاة ليلة الرغائب

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

لم نعثر - في كتبنا - على سند لرواية صلاة الرغائب سوى ما ذكره العلامة الحلي «رحمه الله» في إجازته لبني زهرة، وهو سندٌ ينتهي إلى أنس بن مالك. وهناك قطعةٌ من سندٍ ذكرها العلامة في كتابه منهاج الصلاح ص ٤٥٧ وهي كالتالي: روى عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد الجعفي أنه يصوم أول خميس ... الحديث.

ولكنه سندٌ مقطوعٌ، لم ينتهِ إلى المعصوم «عليه السلام»! فلا نعلم عمّن رواها جابر بن يزيد؟!!

ويحتمل أن تكون تتمّة السند منتهيةً بأنس بن مالك، فيتحدّد الإسنادان من هذه الجهة!!

وقد أوردها السيد ابن طاووس في الإقبال، وحكم باستحبابها الحر العاملي في وسائله، وأفتى المراجع بجواز الإتيان بها برجاء المطلوبة، تبعاً لقاعدة التسامح في أدلة السنن.

وقد حصل الخلاف على موضوع الإتيان بها، لما تعلمون من أنها مروية عن مبغض أمير المؤمنين «عليه السلام» أنس بن مالك.. فما الذي ترونه في كيفية التعامل مع عمل بهذه الصفة؟!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

عن الإمام أبي جعفر الباقر «عليه السلام» أنه قال: «فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم الا ههنا»^(١).

وعنه «عليه السلام» أيضاً: كل ما (شيء) لم يخرج من هذا البيت، فهو باطل^(٢).

وروي عنه «عليه السلام»: أنه قال لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: شرّقا وغربا، لن تجدوا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت^(٣).

(١) راجع: بصائر الدرجات ص ٢٩ و ٣٠ والكافي ج ١ ص ٥١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٧ ص ١٨ و ١٩ و (الإسلامية) ج ١٨ ص ٨ ومستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ والإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٦٩ والمختصر ص ٢٩ ومنية المريد ص ١٨٨ والفصول المهمة للحر العاملي ج ١ ص ٥٢١ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٦٥ و ٩١ وج ٢٣ ص ١٠١ وج ٤٢ ص ١٤٢.

(٢) بصائر الدرجات ص ٥٣١ ومختصر بصائر الدرجات ص ٦٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٧ ص ٧٤ و ٧٥ و ١٣٠ و (الإسلامية) ج ١٨ ص ٥٠ و ٩٤ ومستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٢٨٢ و ٣٠٩ والمختصر ص ١٥ و ٢٨ والمحجة البيضاء ج ١ ص ٢٠١ والفصول المهمة للحر العاملي ج ١ ص ٥٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٣٦٩ وج ٢ ص ٣٤٣ وج ٧ ص ٣٤٨ وغاية المرام ج ٥ ص ٢١٥.

(٣) راجع: بصائر الدرجات ص ٣٠ والكافي ج ١ ص ٣٩٩ ووسائل الشيعة (آل البيت)

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» «فَلْيُشَرِّقِ الْحَكَمُ [بن عتبة] وَلْيَغْرُبْ..
أَمَّا وَاللَّهِ، لَا يُصِيبُ الْعِلْمَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جَبْرَائِيلُ»^(١).

وعلى هذا الأساس نقول:

إذا تفرد غير الشيعة برواية أمر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو
عن أهل البيت «عليهم السلام»، فلا يؤخذ بها، ولا يكون من موارد التسامح
في أدلة السنن..

إلا إن كان احتمال أن يكونوا قد أخذوه عنهم «عليهم السلام» احتمالاً
معتدلاً به، والموارد الذي نحن بصددده، وإن كان بالنظر البدوية يحتمل أن يكون
مأخوذاً عنهم «عليهم السلام»، لكن هذا الاحتمال موهون جداً، لأسباب
عديدة ستأتي الإشارة إلى بعضها.

أما إذا روي هذا الأمر عن رسول الله، أو عن أهل بيته من طريق من يوالون
أهل البيت «عليهم السلام»، ولو بسند ضعيف لعدم توثيق رواته، أو لاتهمام

ج ٢١ ص ٤٧٧ وج ٢٧ ص ٤٣ و ٦٩ و (الإسلامية) ج ١٥ ص ١٩٦ وج ١٨ ص ٢٦
و ٤٧ وإختيار معرفة الرجال ص ٢٠٩ و ٢١٠ و (رجال الكشي) ج ٢ ص ٤٦٩
ومستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٢٧٤ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٩٢ وج ٤٦ ص ٣٣٥ ومراة
العقول ج ٤ ص ٣٠٩ والوافي ج ٣ ص ٦٠٩.

(١) راجع: بصائر الدرجات ص ٢٩ والكافي ج ١ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ ووسائل الشيعة
(آل البيت) ج ٢٧ ص ٦٩ و (الإسلامية) ج ١٨ ص ٤٧ ومستدرك الوسائل ج ١٧
ص ٢٧٤ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٩١ وج ٤٦ ص ٣٣٥ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ١٣٧
وكنز الدقائق (تفسير) ج ١ ص ١٦٦ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٣٣ و ٣٤ ومراة
العقول ج ٤ ص ٣٠٩.

بعضهم في ضبطه، أو حفظه، أو نحو ذلك.. فهذا هو مورد قاعدة التسامح في أدلة السنن.

أما الذي لم يروَ عن أهل البيت «عليهم السلام»، ولا رواه شيعتهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل رواه مخالفوهم حصراً، فلا يشملهم حتى قوله «عليه السلام»: «الرشد في خلافهم»^(١).. لأنه مورده هو وجود معارض له فيما روي عن أهل البيت «عليهم السلام»، كما أنه لا يكون علماً صحيحاً، أو لا يحصل اليقين بصحته، وأنه غير مشوب بالأهواء والجهالات، أو تكون قد عرضت له اختلالات في النقل والرواية، تذهب قيمته الاعتبارية، وتفقد التأثير المطلوب منه.

وأما ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو روي عن أهل البيت «عليهم السلام» من طريق من عُرف بالإنحراف عن علي وأهل بيته «عليهم السلام»، فليس مورداً لقاعدة التسامح في أدلة السنن، فكيف إذا كان الراوي ممن روي أن الإمام الصادق «عليه السلام» قال عنه: إنه أحد ثلاثة أشخاص كانوا يكذبون على رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

وقد دعا عليه علي «عليه السلام» لكتمانه حديث الغدير، بالإضافة إلى أمور أخرى تظهر انحرافه عن أهل البيت «عليهم السلام»، كما هو الحال في

(١) راجع: الكافي ج ١ ص ٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٧ ص ١١٢ و (الإسلامية) ج ١٨ ص ٨٠ وخاتمة المستدرک ج ١ ص ٢٨٣ و ٤٨٧.

(٢) الخصال ج ١ ص ١٩٠ والإيضاح ص ٥٤١ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٢١٧ وج ٢٢ ص ١٠٢ و ٢٤٢ وج ٣١ ص ٦٤٠ ومجمع رجال الحديث ج ٤ ص ١٥١ وج ١١ ص ٧٩.

قصة حديث الطائر المشوي..

فإن هذا الشخص إذا تفرد برواية أمر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما هو الحال في حديث ما سمي بـ «ليلة الرغائب»، فلا مجال للأخذ بحديثه.. أو العمل بمقتضاه، على سبيل التعبد، وهو أبعد ما يكون عن تطبيقات قاعدة التسامح في أدلة السنن..

فكيف إذا لم يذكر هذا الحديث عن أحد من الأئمة «عليهم السلام»، ولم ينقل أن أحداً منهم، ولا من غيرهم، حتى من الذين يعتمدون على روايته ورواية أمثاله قد عمل بحديثه هذا.. ولم يعمل به النبي والصحابة والتابعون، فضلاً عن الأئمة وشيعتهم؟!!

بل قد يكون ما ذكرناه كافياً للحكم برجحان تجنب الإتيان بمثل مضمون هذا الخبر، ولو برجاء المطلوبية، فضلاً عن الإقدام على الترويج له، ودعوة الناس للعمل والالتزام به، لاحتفال أن يكون من ترويج البدع، أو من الالتزام بالعمل بما هو مشوب بالباطل، وقد ورد قولهم «عليه السلام»: «لو كان خيراً ما سبقونا إليه»^(١).. كما هو الحال في صلاة النوافل في ليالي شهر رمضان، بالإتيان بها جماعة، فإن الإتيان بها جماعة مما لم يرد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل المروي خلافه.

(١) الكافي ج ٥ ص ١٩ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٢٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٥ ص ٤٦ و (الإسلامية) ج ١١ ص ٣٢ وخاتمة المستدرک للميرزا النوري ج ٤ ص ٤٥١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٥٠ وإكلیل المنهج في تحقيق المطلب للكراسي ص ٣٤٨.

على أننا نقول:

ورد في الحديث: أن أبا هاشم الجعفري (وهو داود بن القاسم)، دخل هو ومحمد بن حمزة على الإمام الهادي «صلوات الله وسلامه عليه» ليعوده في مرض ألمّ به، فطلب «عليه السلام» أن يبعثوا قوماً أو رجلاً إلى الحائر الحسيني - من ماله - ليدعو الله له.

فقال محمد بن حمزة: يوجهنا إلى الحائر، وهو بمنزلة مَنْ في الحائر؟!

قال: فأخبر أبو هاشم الإمام «عليه السلام» بما قال..

فقال «عليه السلام»: ليس هكذا، إن الله مواضع يجب أن يعبد فيها، وحائر الحسين «عليه السلام» من تلك المواضع» فراجع^(١).

وهذا يدل على ضرورة الالتزام بالعبادات كما يريد الله، ومن دون أي تصرف فيها.

كما أننا إذا رجعنا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وإلى الأئمة «عليهم الصلاة والسلام»؛ فإننا نجدهم يمنعون من أي تصرف، أو تبديل في النصوص والكلمات.. حتى بالنسبة لألفاظ الدعاء المستحب، فضلاً عن التصرف في الآيات، والكلمات القرآنية.. فقد:

١ - روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» علّم البراء بن عازب دعاءً فيه هذه الكلمة: «..ونبيك الذي أرسلت..».

(١) كامل الزيارات ص ٤٥٩ و ٤٦٠ الحديث رقم ٦٩٨ ومستدرک الوسائل ج ١٠

ص ٣٤٦ وبحار الأنوار ج ٩٨ ص ١١٢.

فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: «..ورسولك الذي أرسلت...».

فقال له «صلى الله عليه وآله»: «لا، ونيك الذي أرسلت»^(١).

٢ - وعن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: «ستصيبيكم شبهة؛ فتبقون بلا عَلمٍ يرى، ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق.

قلت: وكيف دعاء الغريق؟!

قال: تقول: «يا الله، يا رحمان، يا رحيم، يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك».

فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك.

فقال: إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»^(٢).

وهذا يدل على لزوم التدقيق والتقيد بما ورد عنهم «عليهم السلام» حرفياً.. فكيف يمكن أن نلتزم بعمل لم تصلنا أية إشارة تدل على أنهم ذكروه، أو أشاروا إليه بشيء من قريب أو بعيد، بل رواه فقط من صرح الأئمة «عليهم

(١) راجع: مناهل العرفان ج ١ ص ١٨٢ عن التبيان، والتمهيد في علوم القرآن ج ٢ ص ١٠٤ والبيان لآية الله الخوئي ص ١٩٨ عن التبيان، وصحيح البخاري ج ١ ص ٦٧ وج ٧ ص ١٤٦ و ١٤٧ وعمدة القاري ج ٢٢ ص ٢٨٣ والترغيب والترهيب ج ١ ص ٤١٠ والإحكام ج ٢ ص ٢٠٦ وذم الكلام وأهله ج ٣ ص ٢١٧.

(٢) إكمال الدين ج ٢ ص ٣٥٢ وبحار الأنوار ج ٩٢ ص ٣٢٦ وإعلام الوري ص ٤٣٢.

السلام» بأنه يكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو منحرف عن أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي لا يبغضه، إلا منافق؟! ولماذا نروج لروايات هذا حالها ومآلها؟! ولماذا ندعو الناس إلى الإلتزام بها؟!

٣ - وروي عن الإمام الباقر «عليه السلام» (وفي الوسائل والمحجة: الجواد)، في حديث فضل الرجل الأكثر أدباً من صاحبه عند الله: أنه «عليه السلام» علّل ذلك بقوله: بقرائه القرآن من حيث أنزل^(١)، ودعائه الله من حيث لا يلحن، وذلك أن الرجل ليلحن؛ فلا يصعد إلى الله..

وحسب ما في الوسائل: فإن الدعاء الملحن لا يصعد إلى الله^(٢).

أما ذكر ابن طاووس لهذه الصلاة في إقبال الأعمال ص ٦٣٢، فإنما نقله «رحمه الله» من بعض كتب أصحابنا على حد قوله، ونقله في بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ عن العلامة في إجازته الكبيرة، والسند الذي ذكره العلامة ينتهي إلى أنس، ولا يعتمد عليه لكثرة المجاهيل فيه، لاسيما مع عدم ورود آية إشارة من أحد من الأئمة إلى أعمال هذه الليلة، وصلاة الرغائب فيها، وعدم وجود دليل على أن أحداً من الشيعة قد عمل بها..

والظاهر: أنهم أخذوها من أهل السنة تسامحاً منهم في أدلة السنن، وقد قلنا: إن هذا لا يكفي..

ثالثاً: اللافت هنا: أن كثيرين من علماء أهل السنة قد صرحوا بأن صلاة

(١) في وسائل الشيعة: كما أنزل.

(٢) كنز العمال ج ٢ ص ١٨٩ عن ابن عساكر، والمحجة البيضاء ج ٢ ص ٣٠٩ ووسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٦ عن عدة الداعي ص ١٠.

الغرائب من البدع المحدثه، وقالوا: إنها أول ما أحدثت ببيت المقدس بعد سنة أربع مئة وثمانين للهجرة، كما قاله أبو شامة المقدسي، وابن الحاج في المدخل^(١)، وابن الصلاح.

وقالوا: لم ينقل أن النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أحد من أصحابه فعلها، ولم تفعل في القرون الأولى، ولا فعلها أئمة المذاهب، فهي إذن بدعة مذمومة، وقد صنّف عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي كتاباً في إبطالها، كما نقله النووي، مصرحاً بأنها بدعة، وصرح بذلك آخرون أيضاً، فراجع^(٢).

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: «وقد صنّف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة في تقبيحها، وتضليل مصلّيها، ومبتدعها»^(٣).

وصرح ابن حجر الهيتمي، والحنفية، والشافعية، وابن الجوزي، والعز بن السلام، وابن رجب الحنبلي، وأبو إسماعيل الأنصاري، والسمعاني، وابن ناصر، وابن الصلاح: بأنها بدعة أيضاً^(٤).

وهاجمها ابن تيمية بصورة مرة، لأن النبي لم يصّلها، ولا صلاها أحد من الصحابة والتابعين، ولا أئمة المسلمين^(٥).

(١) راجع: المدخل لابن الحاج ج ١ ص ٢٩٤ والحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٢٢.

(٢) المجموع ج ٣ ص ٥٤٨ وراجع كلام ابن عابدين في حاشيته ج ٢ ص ٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ج ٨ ص ٢٠.

(٤) الفتاوى الفقهية الكبرى ج ١ ص ٢١٦ والمدخل لابن الحاج ج ١ ص ٢٩٤ وفي الموسوعة الفقهية ج ٢٢ ص ٢٦٢.

(٥) الفتاوى الفقهية الكبرى ج ٢ ص ٢٣٩.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

٢٥ / ٣ / ٢٠١٨ م. ش. ٧ / ٧ / ١٤٣٩ هـ. ق.

الجنب والحائض في مشاهد الأولياء والأصفياء

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله»..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

هل يجوز دخول الجنب والحائض إلى مقامي السيدة زينب، وأبي الفضل العباس «صلوات الله وسلامه عليهما»، وغيرهما من الأولياء والأصفياء، أم أن عدم الدخول أولى وأصوب؟!

وجزاكم الله خيراً..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليك أيها الأخ الكريم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن الأولى والأصوب هو عدم دخولهما، وذلك لما يلي:

١ - ذكر صاحب العروة الوثقى «قدس سره» حول مشاهد الأئمة «عليهم السلام»: «أن حكم المشاهد المشرفة حكم سائر المساجد من حيث عدم جواز دخول الجنب إلى المساجد.

ثم قال: «دون الرواق منها، وإن كان الأحوط إلحاقه بها.. هذا مع عدم

لزوم اهتك، وإلا حرم».

وقال السيد الخوئي «قدس سره» معلقاً: «لأنَّ حرمة هتك الأئمة عليهم السلام» من الضروريات».

ونقول:

بناءً على هذا، إن العباس «عليه السلام»، والسيدة زينب، والحمزة، وجعفر وأمثالهم، هم من رموز الإسلام الذين لهم مقام عظيم يلي مقام المعصومين «صلوات الله وسلامه عليهم»، فهتك حرمتهم غير جائز أيضاً.

٢ - قال السيد الخوئي «قدس سره» مستدلاً على حرمة دخول الحائض والجنب لمشاهد الأئمة «عليهم السلام»: «بأن دخولهما على المشاهد هتك، لأنها معدة للعبادة، فهي من شعائر الله، ودخول الجنب والحائض عليها مناف لتعظيم شعائر الله سبحانه، وهو هتك» (١).

وقال أيضاً عن المشاهد: «لأنها من أهم شعائر الله» (٢).

وما نريد أن نقوله:

إن مقام السيدة زينب والعباس، والحمزة، وجعفر «رضوان الله تعالى عليهم»، وإن لم يكن من مشاهد الأئمة، ولكن مما لا ريب فيه رجحان عدم دخول الجنب والحائض إلى تلك المقامات، تأدياً وإجلالاً لها على الأقل.

أما إذا لزم من دخولها اهتك كان حراماً، كما قال صاحب العروة، والسيد

(١) التنقيح ج ٧ ص ٣٥٥ و ٣٥٦.

(٢) التنقيح ج ٧ ص ٣٥٦.

الخنوي «رحمهما الله»..

كما أن من الواضح: أن مقامات السيدة زينب والعباس، وجعفر، وحمزة، وغيرهم هي من الأماكن المعدة للعبادة، فإن أخذنا بما قاله السيد الخنوي «قدس سره»: من أن ما يكون معداً للعبادة، فهو من شعائر الله، فيكون دخول الجنب والحائض إليها منافياً لتعظيم شعائر الله سبحانه، وهو هتك لها.

والبحث في هذه المسألة طويل.. فلا بد من الإكتفاء بهذا القدر..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

القسم السابع

متفرقات..

سؤال حول الشيخ الفضلي

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم: زهير

سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي «دام ظله»..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

بداية أدعو لكم بدوام الصحة والعافية، والعمر المديد..

لدي بعض الأسئلة:

السؤال الأول: ما هي نصيحتك للشاب كي يحافظ على عفته، ويصون

نفسه من الوقوع في الرذيلة؟!

السؤال الثاني: ما هي الكتب التي تنصح بقراءتها للتزود الديني الثقافي

للإنسان العام؟

السؤال الثالث: حول الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.. ما رأيكم

بمؤلفاته بشكل عام، هل هي مؤلفات رصينة وذات نفع؟ هل الرجل فعلاً

آية الله ومجتهد بحسب اطلاعكم؟ وفي الحوزات، هل يشهد له بالاجتهاد والعلم

الواسع؟

إن ما يدعوني للسؤال عنه: هو شخصيته المختلفة، فقد كان بحسب ما عرفت عنه، إنساناً هادئاً، وبعيداً عن الأضواء والوجاهة، منكباً على التأليف والاطّلاع، لكن ما صدمني هو موقفه حين شهد للسيد فضل الله بالإجتهد وأهلية التقليد، حيث قال عنه: «بأنه مجتهد مطلق، وتقليده مبرئ للذمة» وعلى هذا، ما رأيكم بالاستفادة من كتبه؟! وما حكم قراءتها؟! وهل فعلاً هو بنفسه مجتهد ليشهد لفلان بالإجتهد؟

أرجو الإجابة، خاصة عن السؤال الأخير..

وفقكم الله وسدد خطاكم .

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

١ - فقد سألت عن شهادة الشيخ الفضلي «رحمه الله» في حق السيد محمد حسين فضل الله، وأنه مجتهد، ويجوز تقليده أم لا..

وأحب أن أقول: إن الشيخ الفضلي والسيد محمد حسين فضل الله قد توفاهما الله تعالى، ولم تعد شهادة الشيخ الفضلي وتقليد السيد فضل الله محل ابتلاء لنا، فلا حاجة إلى الإنشغال بهذا الأمر.

ولعل العودة إلى إثارة هذا الأمر يوجد حساسية معينة لدى فريق من الناس، ولا نحب أن نثير العصبية والمشاعر السلبية لدى أي كان.

٢ - وأما مؤلفات الشيخ الفضلي «رحمه الله»، فلم تصلني، ولم أطلع عليها

بصورة تسمح لي بإبداء رأي معين فيها.. والذي يجب أن نهتم به أكثر هو نشر عقائد الدين، ودفع التجنيات عليه من الظالمين، فإن على الإنسان أن يهتم بالأهم، وبما نفعه أعم، وفائدته أتم.

٣- عن موضوع اجتهاد الشيخ الفضلي نقول:

إن ما علمته عنه: أنه تخرج من كلية الفقه في النجف الأشرف، ولا أدري إن كان قد تابع دراسته الأكاديمية، أو الحوزوية بعد ذلك.
فأنا أعذر من جنابكم بسبب عدم قدرتي على الإجابة، لأنني لا أملك معلومات كافية.

٤- أما نصيحتي للشباب فيما يرتبط بصون أنفسهم من الرذائل، فهي:
أن الرذائل لا تعدو كونها استجابة للرغبات والشهوات الشخصية، وهي آنية عارضة يكون وجودها عين تلاشيها وفقدانها، وينتهي الأمر عند هذا الحد.
والتعلق بها انكفاء عن الحياة بمعناها الأسمى والأرحب، والأرقى، وهو تقوقع وانطواء، وانطفاء لجذوة الطموحات، وهدر للطاقات الجبارة التي يملكها شبابنا الطيب، في حين أن الله تعالى يريد منهم أن ينطلقوا في آفاق الوجود الرحبة، وأن يكون محط أنظارهم أبعد نقطة فيه، وأن يهزموا المسافات، ويذللوا العقبات، ويفسحوا لطموحاتهم لتنتقل في امتدادات الحياة الباقية والراقية لتصل إلى ما هو أسمى وأسنى، وأرقى وأبقى، على قاعدة: من استوى يوماه فهو مغبون، ولتثمر جهودهم رصيذاً هائلاً من العطاء يصل الأرض بالسما، ويتجاوز الدنيا الفانية، إلى الآخرة الباقية.

وإن مما يعتصر في النفس ألماً، ويضيف إلى شجنها شجناً: عزوف شبابنا

الطيب عن الإسهام في إعمار الأرض، وأن لا يشارك في مسيرة التكامل والإرتقاء، وتذليل العقبات، واجتراح المعجزات، وبلوغ المقامات، واستحقاق الكرامات.

٥ - أما بالنسبة للكتب التي ننصح بقراءتها، فإن لكل قارئ كتاباً يناسب ثقافته، ويعالج ما يعاني من مشكلات، ويتمم ما يحتاج إلى تكميم، ويرمم ما يحتاج إلى ترميم، ولا يمكن التعامل مع الجميع بوتيرة واحدة، بل هذا من الخطأ الفادح والفاضح، الذي قد يضر، ولا ينفع.

وتحديد المفيد والمطلوب يحتاج إلى المعاينة المباشرة التي تؤدي إلى إدراك تام للحاجات، والتعرف على الحالات..

ومع ذلك، ننصح الشباب بالإطلاع على جانب من الحديث الشريف، وأنصح باقتناء كتاب: «مستدرك سفينة البحار»، وقراءة شيء منه يومياً، ولو بمقدار دقائق معدودة، وقراءة شيء من سيرة النبي والأئمة «عليهم أفضل الصلاة والسلام»، وقراءة ثلاثين آية من القرآن في كل يوم، وغير ذلك..

والله ولي التوفيق..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

٢٣/٢/١٤٤٠ هـ. ق ٢/١١/٢٠١٨ م. ش.

تكریم كتاب الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

السؤال ١: ما هو الكتاب الذي اختير من قبل المؤتمر؟!

الجواب: هو كتاب الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام».

السؤال ٢: ما الذي دعاكم لتأليف هذا الكتاب؟!

الجواب: قد يمتاز هذا الكتاب بأنه حاول أن يلقي نظرة على حالة الناس في معاناتهم مع الحكماء، وما حاق بهم من ظلم وأذى، كما أنه يعرض جانباً من سياسات الحكام آنذاك تجاه أهل البيت..

وبيّن أن كل ما جرى عليهم وعلى الناس من ظلم واضطهاد، وأذى، ليس فقط لم يوجب انصراف الناس عن أهل البيت، بل أسهم في زيادة تعلّق الناس بهم، حتى أن الثورات التي قامت في البلاد الإسلامية الكبرى في عهد المأمون أو قبله، بقيادة أشخاص من ذرية علي «عليه السلام» كانت عديدة.. وكان بعضها على درجة كبيرة من الخطورة، وأعداد المشاركين فيها كانت كبيرة.. الأمر الذي دعا المأمون لابتكار وسيلة يتمكن بها من إطالة عمر الحكم العباسي، وإخماد ثورات العلويين، بالإضافة إلى تمكينه من السيطرة على أعظم الشخصيات موقعاً واحتراماً ونفوذاً في بني علي، وعند أكثر الناس في الأمة، وهي جعله ولياً لعهدده، ثم يتخلص منه بطريقة خفية، بدسّ السم إليه..

على أن يُشفع ذلك بحملة إعلامية ذكية، تهدف إلى خلخلة المفاهيم

والإعتقادات الإيمانية التي يبثها الأئمة «عليهم السلام» في الناس .
أو لا يجعل الإمام الرضا «عليه السلام»، وهو ولي عهد المأمون، مجبراً
على دعوة الناس لتأييد حكمه، ورفع رايته، وتأكيد وتقوية سلطانه..
وينصرف هو لإشاعة الشبهات حول اعتقادات أهل البيت، وشيعتهم
وأن ما يدَّعون، من أن الخلافة حق لهم لا يطابق ولا ينسجم مع قبول ولاية
العهد منهم، لأن هذه متوقفة على تلك.
كما أن ذلك يبرئ بني العباس من تهمة غصب مقام الإمامة والخلافة
من أصحابه الشرعيين.
وهو أيضاً ينقض عقيدة الشيعة وأهل البيت بعدم جواز إعانة الظالم، أو
عدم جواز تأييده، ونصرته، والعمل في حكومته، كما أن أصل الإمامة يتزعزع
ويتهاوى، وينتهي أمر الأئمة وشيعتهم بأهون سبيل.
فرايت أن هذه شبهات خطيرة، ولا بد من معالجتها، حفظاً للدين،
ولأهله من الزلل، والوقوع في الخطأ والخلل..
فظهر من خلال دراسة ما جرى: أن الإمام الرضا «عليه السلام»، قد
اتبع سياسة دقيقة، أبطلت كيد المأمون، وضيعت أهدافه..
وقد سجل أموراً كبيرة لا يزال صداها، وسيبقى يتردد في الأسماع، ولا
يمكن إنكارها، ولا أن يعبث بآثارها، ويمكن أن نشير في هذه العجالة إلى
بعض تلك الأمور، مثل:

- إصرار الإمام «عليه السلام» على رفض قبول ولاية العهد، والتصريح
المستمر: بأنها فرضت عليه، بل هو قد كتب ذلك على الوثيقة التي كتبها

المأمون في أمر ولاية العهد.

كما أنه «عليه السلام» قد أعلن ذلك في تجمع الناس حوله في نيشابور، وهم يعدّون بعشرات الألوف، فربط «عليه السلام» إمامته بكلمة التوحيد، وأن توحيد الإنسان لا يكتمل إذا لم تكن إمامة الإمام الرضا «عليه السلام»، منضمة إليه..

وهناك ما جرى حين طلب المأمون منه أن يصلي صلاة العيد بالناس، فلما رأى شدة تفاعل الناس معه، أرجعه عنها..

وغير ذلك كثير، لا مجال للحديث حوله..

وأعذر عن عدم تمكني من الإجابة عن بقية الأسئلة، بسبب الحالة الصحية. والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهر وباطناً، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

٥ ذو القعدة ١٤٣٩ هـ ق. ١٩ تموز ٢٠١٨ م ش.

مشهد المقدسة

جعفر مرتضى العاملي

أعمل بتكليفي ، ولكم شكري

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسم: أحمد جعفر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اللهم صل على نبينا محمد وآل نبينا الأعظم، الطاهرين المطهرين، الأئمة الطاهرين الراشدين الهادين.

منذ مدة وأنا أحاول الحصول على عنوان البريد للسيد جعفر، لشكره على العقل والفكر اللذين كتب بهما كتبه، فيا ربنا لك الحمد أن خلقت فينا من هم ألو الألباب، لقلوب وعقول مثل السيد جعفر . ولكم ألف شكر..

وأرجو منكم أن تعذروني، ولكن من قراءة كتبه لم أستطع أن أكبت نفسي دون تمرير هذه الرسالة لكم.

وشكراً للعاملين والمساعدین للسيد جعفر..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنني أشكر لك هذه المبادرة الكريمة التي أتحفتنا بها..
ولكنني أريد أن أقول: إنما أنا عبد الله، وإنني مقصر في تأدية ما عليّ من
تكاليف ووظائف، وما أقوم به منها لعل لا أفيه حقه..
أسأل الله تعالى أن يسدني فيما أفعله، وما سأفعله.. إنه ولي قدير، وبالإجابة
جدير..

حفظك الله وزاد الله في عمرك، وفي توفيقاتك..
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى،
محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي

عيثا الجبل - جبل عامل

٢٣/٢/١٤٤٠ هـ. ق ٢/١١/٢٠١٨ م. ش.

كلمة الختام:

وبعد..

فقد حان الوقت لندع القارئ الكريم يخلد إلى الراحة، وينعم بالسكينة والطمأنينة، ليكون هذا الحمام مصدر قوة، وسبيل استعادة نشاط يحتاج إليه ويعوّل عليه في انعاش الروح، واستفزاز الحوافز مرة أخرى للدخول في معاناة قد تكون أكثر فائدة وأوفر عائداً إن شاء الله..

كما ويحدونا أمل كبير في أن نجد لديه بعض الشعور بالرضا الذي يجعلنا نستدرج به صالح أدعيته، وصافي وده، وخالص حبه، وجميل ثنائه، وجزيل وفائه..

ونحن ندعو لقارئنا الكريم بمزيد من التوفيق والسداد، والرشاد في خط طاعة الله، والنجاح والفلاح في نيل رضاه، وتحقيق ما يتمناه، إن ربي قريب مجيب.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

لبنان - جبل عامل - عيثة الجبل (عيثة الزط سابقاً)

٢١ ربيع الأول سنة ١٤٤٠ هـ. ق. ٢٩ / ١١ / ٢٠١٨ م. ش.

الفهرس

٥	تقديم:
٧	القسم الأول: عقائد
٩	البداء في المحتوم
١٥	البداء في إسماعيل
٢٨	الجبر في الآخرة
٤٥	حجية القطع بالمعتقدات الباطلة
٧٤	فائدة خلق السماوات
٩٥	القسم الثاني: الأنبياء عليهم السلام
٩٧	عصمة إبراهيم عليه السلام
١١٩	قبور الأنبياء
١٢١	القسم الثالث: حسينيات
١٢٣	استسقاء الحسين للرضيع
١٢٧	سيرة الحسين
١٢٩	خطاب السيدة زينب في مجلس يزيد
١٣٣	القسم الرابع: قرآنيات
١٣٥	علامات الوقف في القرآن
١٤٧	القسم الخامس: في التراث
١٤٩	آليات البحث التاريخي والفقهية
١٦١	التراث الشيعي في العهد العثماني

سؤال حول الرسالة الذهبية.....	١٦٣
القسم السادس: فقه.....	١٦٥
زواج المتعة.....	١٦٧
صلاة ليلة الرغائب.....	١٧٥
الجنب والحائض في مشاهد الأولياء والأصفياء.....	١٨٥
القسم السابع: متفرقات.....	١٨٩
سؤال حول الشيخ الفضلي.....	١٩١
تكریم كتاب الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام	١٩٥
أعمل بتكليفي، ولكم شكري.....	١٩٨
كلمة الختام:.....	٢٠١

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - الآداب الطبية في الإسلام
- ٢ - ابن عباس وأموال البصرة
- ٣ - ابن عربي سني متعصب
- ٤ - الأبواب في عهد الرسول ﷺ: نصوص وآثار..
- ٥ - أبو ذر لا إشرافية.. ولا مزدكية
- ٦ - أحيوا أمرنا
- ٧ - إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
- ٨ - أسئلة وردتنا
- ٩ - إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات
- ١٠ - الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
- ١١ - الإعتماد في مسائل التقليد والإجتihad (جزءان)
- ١٢ - أفلا تذكر «حوارات في الدين والعقيدة»
- ١٣ - أكذوبتان حول الشريف الرضي
- ١٤ - الكوى سيره پژوهى واندیشه هاى اسلامى (فارسي)
- ١٥ - الأمانة الإلهية.. لمن؟! ولماذا؟!
- ١٦ - الإمام علي والنبي يوشع عليه السلام
- ١٧ - أهل البيت عليه السلام في آية التطهير

- ١٨ - أين الإنجيل؟!
- ١٩ - بحث حول الشفاعة
- ٢٠ - براءة آدم ﷺ حقيقة قرآنية
- ٢١ - براءة يونس ﷺ في القرآن الكريم
- ٢٢ - البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم
- ٢٣ - بنات النبي ﷺ أم ربائبه؟!
- ٢٤ - بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
- ٢٥ - تحقيقي در باره تاريخ هجري (فارسي)
- ٢٦ - تخطيط المدن في الإسلام
- ٢٧ - تفسير سورة ألم نشرح
- ٢٨ - تفسير سورة البيّنة
- ٢٩ - تفسير سورة التكاثر
- ٣٠ - تفسير سورة التوحيد (الإخلاص)
- ٣١ - تفسير سورة التين
- ٣٢ - تفسير سورة الضحى
- ٣٣ - تفسير سورة العاديات
- ٣٤ - تفسير سورة الفاتحة
- ٣٥ - تفسير سورة الفلق
- ٣٦ - تفسير سورة الكافرون
- ٣٧ - تفسير سورة الكوثر
- ٣٨ - تفسير سورة الماعون
- ٣٩ - تفسير سورة المسد
- ٤٠ - تفسير سورة الناس

- ٤١ - تفسير سورة النصر
- ٤٢ - تفسير سورة هل أتى (جزءان)
- ٤٣ - توجيهات في العمل الإداري
- ٤٤ - توضيح الواضحات من أشكال المشكلات
- ٤٥ - الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!
- ٤٦ - الحاخام المهزوم
- ٤٧ - حديث الإفك
- ٤٨ - حقائق حول القرآن الكريم
- ٤٩ - حقوق الحيوان في الإسلام
- ٥٠ - حل الألغاز (تعليقة).
- ٥١ - الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام
- ٥٢ - الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام
- ٥٣ - الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام
- ٥٤ - خسائر الحرب وتعويضاتها
- ٥٥ - خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام (ستة أجزاء)
- ٥٦ - دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)
- ٥٧ - دراسة في علامات الظهور
- ٥٨ - دليل المناسبات في الشعر
- ٥٩ - ربائب الرسول صلى الله عليه وآله «شبهات وردود»
- ٦٠ - رد الشمس لعل عليه السلام
- ٦١ - زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)
- ٦٢ - الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
- ٦٣ - زوجات الإمام الحسن عليه السلام : أكاذيب وحقائق

- ٦٤ - زينب ورقية في الشام!!
- ٦٥ - سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
- ٦٦ - سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)
- ٦٧ - السوق في ظل الدولة الإسلامية
- ٦٨ - سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور
- ٦٩ - سيرة الحسن عليه السلام في الحديث والتاريخ (المجتبى من سيرة المجتبى) (١٢ جزء)
- ٧٠ - سيرة الحسين عليه السلام في الحديث والتاريخ (أربعة وعشرون جزءاً)
- ٧١ - شبهات يهودي
- ٧٢ - الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
- ٧٣ - الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (ثلاثة وخمسون جزءاً)
- ٧٤ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله (ستة وثلاثون جزءاً)
- ٧٥ - صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد
- ٧٦ - طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنة والجماعة)
- ٧٧ - ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين؟!
- ٧٨ - ظلامه أبي طالب عليه السلام
- ٧٩ - ظلامه أم كلثوم
- ٨٠ - عاد الثانية.. كيف نعرفها؟!
- ٨١ - عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيفاني
- ٨٢ - عصمة الملائكة بين فطرس.. وهاروت وماروت
- ٨٣ - علي عليه السلام والخوارج (جزءان)
- ٨٤ - عهد الأشتر مضامين ودلالات (جزءان)
- ٨٥ - الغدير والمعارضون
- ٨٦ - القول الصائب في إثبات الربائب

- ٨٧ - كربلاء فوق الشبهات
- ٨٨ - لست بفوق أن أخطئ من كلام علي عليه السلام
- ٨٩ - لماذا كتاب مأساة الزهراء عليها السلام؟!
- ٩٠ - مأساة الزهراء عليها السلام (جزءان)
- ٩١ - مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (واحد وعشرون جزءاً)
- ٩٢ - المدخل لدراسة السيرة النبوية المباركة
- ٩٣ - مراسم عاشوراء «شبهات وردود»
- ٩٤ - مسائل في الدين والعقيدة (بين يديك)
- ٩٥ - المسجد الأقصى أين؟!
- ٩٦ - المعجزات: رقي وغايات، للبشر في الحياة
- ٩٧ - مقالات ودراسات
- ٩٨ - من شؤون الحرب في الإسلام
- ٩٩ - منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية
- ١٠٠ - المواسم والمراسم
- ١٠١ - موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام
- ١٠٢ - موقف الإمام علي عليه السلام في الحديبية
- ١٠٣ - ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)
- ١٠٤ - نقد ورد
- ١٠٥ - نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم السلام
- ١٠٦ - وقفات مع ناقد
- ١٠٧ - الولاية التشريعية
- ١٠٨ - ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة

